مجلة جامعة الأزهر – غزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2015، المجلد 17، العدد 2 (ب) ص 1-40

"الثّمريَّات في الشعر الأندلسي، دراسة موضوعيّة"

محمد يوسف بنات

جامعة القدس -فلسطين

تاريخ الاستلام 04/06/2015 تاريخ القبول 09/07/2015

ملخص:

يتناول هذا البحث وصف الثّمار في الشعر الأندلسي، وقد تضمَّن تمهيداً ومحورين: أمَّا التمهيد فخُصِّص للحديث عن مناخ الأندلس واختلاف تضاريسها وتطوير العرب لأساليب الزراعة فيها. وتحدث الباحث في المحور الأوّل عن الفاكهة والمدن الأندلسية، وبما تشتهر به كلّ مدينة بنوع خاصّ من الفاكهة، أمَّا المحور الثَّاني: فتضمَّن الحديث عن أهم أنواع الفاكهة المذكورة في الشعر الأندلسي، وقد رتَّبت أنواع الفاكهة الموصوفة ترتيباً هجائياً، ثمَّ قمت باستعراض ما وصفت به الفاكهة الأندلسية من شعر، دارساً أنواعها المذكورة وألوانها المؤتلفة والمختلفة، وأشكالها البديعة، وصفاتها الفريدة، وطعومها اللّذيذة. أمَّا المنهج المتبّع في البحث فهو الاستقرائي التحليلي.

Abstract:

This research depicts fruit in the Andulusian poetry; it consists of an introduction and two major aspects: The introduction talks about Andulusian climate, its different terrains and farming techniques developed by Arabs. In the first aspect, the researcher talks about Andulusian cities and the kind of fruit each city is reputed for. The second aspect deals with the most important types of fruit mentioned in the Andulusian poetry; the depicted fruit are sorted out alphabetically. Then, the researcher discusses poems on Andulusian fruit by numerating their different sorts, types, combined colors, marvelous shapes, unique features and delicious tastes. The inductive analytical approach is followed in this research.

تمهيد:

لعلَّ ما ذكره المقريّ في استهلاله بالحديث عن جزيرة الأندلس يلخصّ لنا الشيء الكثير مما قيل في وصفها، ويختصر علينا الطريق في الحديث عن جنَّة الدنيا (الأندلس)، يقول: "محاسن الأندلس لا تُستَوْفَى بعبارة، ومجاري فضلها لا يشقّ غُباره، وأنَّى تُجارى وهي الحائزة قصب السّبق، في أقطار الغرب والشرق"[1].

ففي هذا الاستهلال تلخيص لما يمتاز به إقليم الأندلس عن سائر الأقاليم، واشتماله على كثير من المحاسن، وقد ساعد على هذا تنوّع البيئة واختلاف التضاريس من جبال وهضاب وأودية وسهول ومروج، وقد شّرف الله –تعالى–الأندلس بحسن موقعها، وخصوبة تربتها، ودوام خضرتها، واعتدال هوائها، وكثرة أفيائها، وعذوبة مياهها لكثرة أنهارها وعيونها المُتَفجّرة، وجمال طبيعتها، وهذا ما جعل فيها الخيرات متَّصلة على الدّوام، وبخاصَّة فواكهها التي لا تكاد تنعدم طيلة أيَّام السّنة؛ نظراً للتّنوّع الحيوي في تلك البلاد، إذ يتأخّر نضج الثّمار في المناطق الباردة، ولهذا تظلّ الفاكهة في كلّ أوان.

وقد ساعد تنوّع المُناخ وخصوبة التربة وغزارة المياه العرب كثيراً، في زراعة الخضروات والحبوب والنباتات والأشجار على اختلاف أنواعها، وكان لهم الفضل في تطوير أساليب الرّيّ، فنصبوا النّواعير والدّواليب والسّواقي لتوزيع المياه على المزروعات، وألَّفوا المصنَّفات الخاصَّة بعلم الفلاحة (الزراعة)، فكانوا يدرسون خصائص التربة ومدى ملاءمتها لزراعة الأشجار، يقول المقري في معرض حديثه عن إتقان الأندلسيين لفن الزراعة: "وهم يونانيون في استنباطهم المياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، ومنهم ابن بصَّال (ت580هـ) صاحب كتاب "الفلاحة" الذي شهدت له التجربة بفضله"[2].

ومن الجدير بالذكر أنَّه لمَّا انتهى عبد الرحمن الدَّاخل (ت172هـ) من بناء قصره بقرطبة، أقام حوله مُنْيَة الرُّصافة التي زرعها بمختلف الأشجار، وأرسل الخبراء من عُمَّاله إلى الشّام لإحضار بعض أنواع الفواكه الغريبة، حيث زرعها في تلك المُنْيَة، وهذا ما أكَّده المقري بقوله: "ونقل إليها غرائب الغُرُوس وأكارم الشجر من كل ناحية، وأودعها ما كان استجلبه رسُوْلاه إلى الشّام من النّوى المختار والحبوب الغريبة، حتَّى نَمَتْ بيُمْن الجدّ وحُسْن التربية في المدة القريبة أشجاراً مُعْتَمَّة، أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عمَّا قليل بأرض الأندلس"[3].

بهذه المزايا التي انفردت بها بلاد الأندلس عن سائر البلدان، غدت جنَّة الدّنيا في عيون أهلها، والوافدين إليها من كلِّ حَدْبٍ وصَوْب. ومن خلال البحث في صفحات الكتب وجد الباحث أنَّ الأندلس كانت أكثر بلاد الله ثماراً وفاكهة، اعتماداً على ما ذكره المقريّ نقلاً عن ابن سعيد الأندلسي(ت685هـ) الذي قال: "وأمَّا الثمار وأصناف الفواكه، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها"[4].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض المدن والقرى الأندلسية اشتهرت بزراعة أصناف بعينها من الفاكهة، وارتبط اسم تلك الفاكهة باسم القرية أو المدينة، فغدا شعاراً لها، وضُرِبَ به المثل، ونسبُوه إليها. وأخذ النَّاس يُطلقون تسميات خاصّة دلالة على شهرة المكان الذي يكثر فيه هذا الصنف من الفاكهة، كأن يُقال: "التين القُوْطِيّ"، و"التين المَالَقِيّ"، و"التين الرَّيِّي"، و"التين البَلَّشِيّ"، و"التين الشَّعْرِيّ الإشبيليّ"، و"التُّفَّاح الجِلْيَانِيّ"، و"الرُّمّان المُرْسِيّ"، و"الرُّمّان السَّفَرِيّ" فهذه المسميات جميعها تدل على جودة الثمار وطيبتها، بحيث لا تُضاهى، ويندر وجودها في غيرها من البلدان.

المحور الأول: الفاكهة والمدن الأندلسيّة

حفلت كتب التراث الأندلسي بذكر كثير من الإشارات التي تدلّ على تنوّع أصناف الفاكهة في بلاد الأندلس، فإشبيلية اشتهرت بكثرة الثمار من كل جنس، وذكر الشَّقَنْدِيّ (ت629هـ) في معرض حديثه عن محاسن تلك المدينة، أنها اختصت بنوعين من التين: القُوطيّ والشَّعْرِيّ الذي أجمع المُتجوّلون في أقطار الأرض أنْ ليس في غير إشبيلية مثل لهما. وقد ذكر المقريّ نقلاً عن ابن سعيد الأندلسي الذي مدح هذين الصّنفين بخاصّة، فقال: "وهذان الصنفان لم تر عيني، ولم أذق لهما منذ خرجت من الأندلس ما يفضلهما"[5]. وتميزت أُبَّذَة "من أعمال جَيَّان" بكروم العنب، فكاد لا يباع ولا يشترى من كثرته[6].

أما بلنسية فقد اشتهرت بكُمَّثْرَى تسمى "الأرزة" في قَدْرِ حبَّة العنب، قد جمع مع حلاوة الطعم، ذكاء الرائحة، إذا دخل داراً عُرف بريحه"[7]. وتكثر حول حصن بُبَشْتَر الأشجار والثمار والكروم والتين وأصناف الفواكه[8]، وقد ضُربَ المثل بتفَّاح جِلْيَانَة، إذ امتاز بِعِظَم حجمه وحلاوة طعمه، وذكاء رائحته ونقائه[9]، وخصَّ الله سَرَقُسْطَة بكثرة فواكهها وطيب ثمارها وجودة نوعها وكِبَرِ حجمها. يقول المقري: "وليس في بلاد الأندلس أكثر فاكهة منها، ولا أطيب طعماً، ولا أكبر جِرْمَاً، والبساتين مُحْدِقَة بها من كل ناحية ثمانية أميال"[10]، ومن أهمّ الفواكه التي اشتهرت بزراعتها: العنب، والتين، والخوخ، وحبّ المُلوك، والتّفّاح، والإجاص[11]. أمَّا شِلْب فقد خصَّها الله بجبل عظيم كثير المسارح والمياه، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب، يتضوّع من روائح العود إذا أرسلت فيه النار[12]، وكذلك اشتهرت شِلْب بشجر التين الذي يحمل منها إلى أقطار المغرب كُلِّها[13]، وتشتهر أراضي حصن شَلُوْبِيْنِيَّة بكثرة شجر الموز[14].

واشتهرت قرية فِنْيَانة بكثرة الكروم والتوت والبساتين والثمار[15]. وامتازت مدينة مالقة بكثرة ما فيها من الخيرات والثمار والفواكه، وكرومها المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة، وقد خُصَّت بنوعين من الفاكهة التي لا نظير لها في بلاد الدنيا، وهما: تينها الذي يضرب بحسنه المثل، ومدحه الشعراء، وقيل: إنَّه ليس في الدّنيا مثله، فكان يُصدَّر إلى مصر والشّام والعراق وبلاد الهند والصين،

وكذلك رمَّانها المُرْسِيّ الياقوتيّ الذي لا نظير له في الحُسْن[16]. وقد مدح أبو الحجَّاج يوسف بن البَلَوِيّ التين المَالَقِيّ، فقال[17]: (السّريع)

مَالَقَـــةُ حُيِّيْـــتَ يَـــا تِيْنَهَـــا الْفُلْـــكُ مِـــنْ أَجْلِـــكَ يَأتِيْنَهَـــا

نَهَـى طَبِيْبِـي عَنْـهُ فِـي عِلَّتِـي مَـا لِطَبِيْبِـي عَـنْ حَيَـاتِي نَهَـى

أمَّا طُلَيْطِلَة فقد اشتهرت بفواكهها الحسان، المختلفة الطُّعُوم والألوان[18]، وكذلك مدينة المَرِيَّة التي اشتهرت بالفواكه التي يقصر عنها الوصف حسناً، وبها وادٍ طوله أربعون ميلاً كله بساتين بهجة وجنات نضرة[19]، واشتهر حصن شَنَش بالتُّوت الكثير[20]، يضاف إلى ذلك فاكهة مدينة شَرِيْش التي لها من الفواكه ما يعمّ ويفضل[21]، غير أنَّ المقريّ لم يعدد لنا أنواع تلك الثمار. وذكر الحِمْيَرِيّ (900هـ) خبراً عن أرض أَشْكُوْنِي التي تنبت بطبعها أشجار التفاح والكمثرى والتين والرمان وضروب الفواكه حاشا شجر التوت من غير غراسة ولا اعتمال[22].

وعند الحديث عن مدينة غَرْنَاطَة نجدها تشتهر بالجبال المُكلَّلة بالأعناب، غاصَّة بالأدواح، وكان يتخلل المباني الثِّمار، وسائر ذوات الفواكه من اللّوز والإجَّاص والكمّثرى[23]، وكذلك كانت مُرْسِيَة من أكثر البلاد فواكه[24]. وقد اختصت رَيَّة دون بلاد الأندلس بتينها الذي طبقت شهرته الآفاق والأرجاء؛ لأنَّه من أحسن أنواع التين طيباً وحلاوة، وكان يُباع في بغداد على جهة الاستطراف[25]، وتكثر في وادي آش أشجار التُّوت والأعناب وأصناف الثمار[26].

ونظراً لكثرة الفواكه في بلاد الأندلس، فإنَّ أسعارها كانت رخيصة جداً، وهذا ما جعلها في متناول الجميع، وقد أمدتنا كتب التاريخ والأدب ببعض الإشارات التي تدّل على انخفاض الأسعار، من ذلك ما ذكر عن أُبَّذَة وما فيها من الكروم التي كاد العنب فيها لا يُبَاع ولا يُشْترى كثرة[27]، وفي موضع آخر يشير المقري إلى انخفاض أثمان العنب في مَالَقَة فيقول: "رأيت العِنَب يُباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير، ورُمَّانها المُرسيّ الياقوتيّ لا نظير له في الدنيا"[28]، ونجد تعليقاً للحِمْيَرِيّ على فاكهة مدينة سَرَقُسْطَة، فيقول: "هي أطيب البلدان بُقْعَة، وأكثرها ثمرة لكثرة الفواكه في بساتينهم حتى لا تقوم ثمنها بمؤونة نَقْلِها لرخصها، فيتخذونها سِرْجِيْناً يدمنون به أرضهم، وربما بيع فيها وَسَق القارب من التفاح بما تباع به الأرطال اليسيرة في غيرها"[29].

وتحدثنا كتب التراث الأندلسي عن عجائب الثِّمار في تلك البلاد، وتروي لنا قصصاً عجيبة وأخباراً غريبة عن ضخامة حجم بعض أصناف الفواكه وخواصّها، من ذلك الإشارة إلى تفّاح مدينة شَنْتَرَة الذي فاق التُّفَّاح الجِلْيَانِيّ حجماً وحلاوة، فذكر ابن سعيد الأندلسي أنَّ بها التفاح العجيب الذي لا تحمل الدَّابة منه إلا ثلاث حبَّات[30]، وانفرد المقري بخبر آخر عن ابن اليَسَع الذي قال إنَّ محيط حبَّة التفاح يُقدّر بحوالي ثلاثة أشبار، وذلك اعتماداً على ما ذكره له أبو عبد الله البَاكُورِيّ، الذي كان

جالساً بحضرة المُعْتَمِد بن عَبَّاد، عندما أهدى للأخير رجل من أهل شَنْتَرَة أربعاً من التفاح ما يُقلُّ الحامل على رأسه غيرها، ودور كل واحدة منها خمسة أشبار[31].

ومن العجائب التي ذكرها الشَّقَنْدِيّ في رسالته التي كتبها في الدفاع عن الأندلس، فنقل لنا خبراً أثناء سفره من "عمل سُهَيْل"، فتعجب من كثرة شجر التين الذي رآه في البساتين والجبال خلال رحلته التي استمرّت ثلاثة أيَّام، فهالته أشجار التين المتهدّلة الأغصان التي تكاد تلتصق بالأرض، حتّى إنَّ الطفل الصغير يقدر على جني ثمارها من شدّة لزوقها بالأرض، وهي على كثرتها تتعب الناس الذين يعملون على جني ثمارها[32].

ولم تخل بعض القصص العجيبة من الفكاهة، من ذلك القصة الطريفة التي ذكرها الشقندي عن تين بَلَّش، عندما سُئِل أحد البربر عنه بعد أن ذاقه وأكل منه الشيء الكثير، فقيل له: كيف رأيته؟ قال: لا تسألني عنه، وصُبَّ في حلقي بالقُفَّة"، وهذا الرجل معذور لأن بلاده حُرِمَت منه[33]. وبعد استعراض كتب التراث الأندلسي، لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ الباحث لم يجد وصفاً لكثير من أنواع الثّمار كالبطيخ والشّمام والبرتقال وغيرها من أنواع الفاكهة، وما وجدته قمت بدراسته وتحليله، أمَّا الأنواع الأخرى من الفاكهة والثمار فلا تكاد تذكر في المظانّ.

المحور الثاني: أهم أنواع الفاكهة وأصنافها المذكورة في الشّعر الأندلسي

قبل الحديث عن أنواع الثمار التي وصفها الشعراء الأندلسيون، لا بدّ من الإشارة إلى أثر الطبيعة الأندلسية الفاتنة في نفوس أولئك الشعراء؛ إذ فتحت لهم مجالات واسعة في الوصف، وأكثروا من مزج الطبيعة في مختلف أغراضهم الشّعرية كالمديح والغزل والفخر، وأقحموا الطبيعة في الرّثاء أيضاً، فاتخذوا من مظاهرها وسيلة للتعبير عما يجيش في صدورهم من آلام وأحزان[34].

ومما يبعث على الإعجاب في الشعر الأندلسي أننا نجد وصفاً شاملاً متنوعاً لكل ما وقعت عليه عيون الشعراء، والفضل في ذلك يعود إلى الطبيعة الساحرة التي أمدَّتهم بزاد وفير ومادّة غنية للوصف، وفتّحت عيونهم لمناظرها الخلابة، فهاموا بها، وانطلقوا يصفون كلّ شيء فيها، مسجّلين صوراً رائعة لما جادت به قرائحهم في تخليد محاسن بلادهم التي تفوق كلّ وصف، فنقلوا لنا صوراً حيَّة لجبالها وأنهارها وأشجارها وطيورها وحشراتها وحيواناتها وجنَّاتها ورياضها وأزهارها ورياحينها، وما فيها من مظاهر عمرانيّة كالقصور والحمّامات والتّماثيل والنوافير والبرك والدّواليب والنواعير[35].

ومن شدّة غيرة أهل الأندلس على بلادهم، نجد أنَّهم يؤلفون كتباً في وصف رياضهم وبساتينهم، وما تشتمل عليه من أزاهير ورياحين، فقد صنَّف الحميري (ت440هـ) كتاباً أسماه: "البديع في وصف الربيع"، فجمع فيه جملة من القصائد والمقطوعات الشعرية البديعة، وقد جعله على ثلاثة فصول، أورد في الفصل الأول ما قيل في وصف الرّبيع بعامّة، وفي الثاني المقطوعات التي

اشتملت على وصف أنواع مختلفة من الزّهور، أمّا الفصل الأخير فخصصه للحديث عن أنواع بعينها من الأزهار[36].

وهكذا شكلت الطبيعة الأندلسية مصدر وحي وإلهام للشعراء الأندلسيين بعامّة، وللخاصّة منهم الذين عرف عنهم مهارة الوصف، فرسموا لنا لوحات متعددة في النّوريّات والرّوضيات والزّهريّات والثّمريّات، وتوسعوا في الوصف ليشمل الخضروات والمزروعات، وقد أوحت هذه الأشياء مجتمعة للشعراء بالكثير من المعاني والأفكار بعد أن تأملوا حسنها البديع، والتفتوا إلى خطوطها وألوانها ورائحتها، فوصفوها بأروع الأوصاف وأدقّها.

وبناء عليه فإنّ شعراء الأندلس بعامة كانوا أكثر وفاء للطبيعة التي ألهبت مشاعرهم، فلم يتركوا شيئاً فيها إلا ووصفوه، فأحياناً نجدهم كالنّحات الذي يحمل إزميلاً ينقش به تمثالاً، أو فنّاناً يمزج ألوانه ليرسم لنا منظراً طبيعياً راقه وأعجبه، أو مصوّراً يقرّب عدسة كاميرته، ليلتقط لنا صورة تظهر أدقّ التّفاصيل للأشياء كأن يصوّر لنا أسداً فاغراً فاه، أو زهرة فوّاحة.

ولم تكن ثمار الأشجار بمنأى عن الوصف، فقد أحبّها الشعراء كثيراً؛ إذ أوحت لهم أشكالها وألوانها وروائحها بالعديد من الصورة الرائعة التي تراوحت بين النمطيّة والتجديد، على النحو الذي ساروا عليه في وصفهم للرياض والأزاهير والرياحين، وفي ذلك يقول مصطفى الشكعة: "ولم يكن طبيعياً أن يفتتن الشاعر الأندلسي بالطبيعة ممثلة في الروض والزهور، ولا يفتتن بالثمرة الحلوة البضّة، تملأ العين سحراً والنفس بهجة"[37]. وبالتالي فإن ثمار الأشجار كانت مصدر وحي وإلهام لدى الشعراء الذين انبروا لوصفها وأسبغوا عليها صفات إنسانيّة، بعد أن ارتاحوا لحسن شكلها، وسحروا بألوانها، وتنسّموا شذاها، وتلمّسوا نعومة ملمسها. وهذا يقودنا إلى الحديث عن الثمار التي وقفنا عليها في مصادر التراث الأندلسي، إذ برع الشعراء في وصف شكلها ظاهراً وباطناً، وتخيّلوا لها أبدع الصّور، ولم يفتهم الإشارة إلى طيب طعمها وعبق رائحتها.

1- الأُتْرُجّ[38].

وصف ابن سعيد الأندلسي ثمرة الأُتْرُجّ وصفاً رائعاً، فقال[39]: (المتقارب)

وَمُصْـــفَرَّةُ اللَّـــوْنِ لَا مِـــنْ هَـــوَىً ... تُكَابِـــــدُ مِنْـــــهُ عَلاقَـــــةَ هَـــــمْ

وَلَكِـــنْ كَسَـــاهَا ســـمُومُ الهَجِيْـــرِ ... جَلابِيْـــــبَ تِبْـــــرٍ بِتَضْـــــرِيْجِ دَمْ

وَأَكْسَـــبَهَا طِيْـــب نَشْـــرِ العَبِيْـــرِ ... وَرِيْـــح الحَبِيْـــبِ إِذَا مَـــا نَسَـــمْ

عَـــرُوسٌ تُـــزَفُّ إِلَـــى شَـــاهِهَا ... عَلَـــى كَـــفِّ أَغْيَـــد مِثْـــل الصَّـــنَمْ

أظهر الشّاعر براعة في رسم صورته الشّعرية، فجعلها تنبض بالحيوية والحياة، عبر التّشخيص الذي صوّر فيه الأترجّة بفتاة شاحبة الوجه مصفرَّة اللّون، غير أنَّها تفترق عن الثانية في أنّها لا تكابد من ألم الهوى، وقد برع الشّاعر في وصف مراحل نضج تلك الثّمرة، فبعد أن فعلت حرارة الشّمس فيها

فعلها، تحوّل لونها إلى الذّهب، ولبست ثوباً أحمر، وأخذت رائحتها الذَّكيّة التي تذكر بريح الحبيب تعبق في المكان، فبدت في منظر العروس التي تُزفّ إلى زوجها في أبهى حُلّة وأروع منظر.

ولأبي بكر محمد بن القُوْطُيَّة(ت367هـ) صورة بديعة لثمار الأُتْرُجّ، قال[40]:(البسيط)

جِسْمٌ مِنَ النُّوْرِ فِي ثَوْبٍ مِنَ النَّارِ ... كَأَنَّهُ ذَهَبٌ مِنْ فَوْقِ بُلاَّرِ

وَابْيَضَّ بَاطِنُهُ وَاصْفَرَّ ظَاهِرُهُ ... كَأَنَّهُ دِرْهَمٌ مِنْ تَحْتِ دِيْنَارِ

مَحْفُوْفَةٌ بِرِمَاحٍ مِنْ مَنَابِتِهَا ... مَشْحُوْنَةٌ بَيْنَ أَرْوَاحٍ أَمْطَارِ

عِطْرِيَّةٌ لَمْ تُطَيَّبْ لِلِقَاءٍ وَلَا ... مَدَّتْ يَمِيْنَاً لِحَانُوْتِ عَطَّارِ

يشبّه الشاعر جسم الأترج المنير، والزّاهي كلهب النّار بالذّهب من فوق البلاّر، ويشبّه ابيضاض باطنه واصفرار ظاهره بدرهم من تحت دينار، قد جمع بين البياض والصّفار.

إنَّ هذا الأترج ذو رائحة عطريّة فوّاحة من تلقاء نفسها، ولم تطيّب تطّيباً صناعيًّاً للقاء، كما يحدث عند بني البشر. وفي الوقت ذاته هي مستغنية في ذاتها بعطرها، وليست بحاجة لحانوت عطَّار حتَّى يُعطّرها.

وقد جمع الشاعر بين تشبيهات بديعة وأوصافٍ رقيقة، موظّفاً الصّورة اللّونية، فاستعار لونّ النّار للدَّلالة على احمرارها، فكأنَّها ترتدي ثوباً أحمر له بريق يشّع منه النُّور، وشبّه ثمار الأترج بالذهب الخالص، وقد غُطّي بزجاج شفّافٍ، وأجاد الشّاعر في توظيف الطباق في بيته الثاني للكشف عن تغيّر لونها قبل نضجها وبعده، مستعيراً لذلك صورة الدّرهم والدّينار، ولجأ الشّاعر إلى التشخيص من خلال إبراز صفات الأنوثة لثمار الأترج، وقد لبست ثوبها الجميل، وحفَّت بالأغصان التي وقفت كالرّماح لتحرسها، وقد تولاّها المطر بالرعاية، ففاحت بروائح عطريّة من غير أن تلتمس طيباً من عطَّار.

وتجذب أشجار الأترج وثمارها عبد الله بن الريُّة المالقيّ وصحبه الذين خرجوا للنزهة في الحقول التي تعجّ بأشجار الأترج، فيقول مرتجلاً[41]: (المنسرح)

يَا حَبَّذَا يُوْمَنَا وَنَحْنُ عَلَى ... رُؤُوْسِنَا نَعْقِدُ الأَكَالِيْلاَ

فِي جَنَّةٍ دَالَتْ فِي مَقَاطِفِهَا ... ثِمَارُهَا الدَّانِيَاتُ تَذْلِيْلاَ

كَأَنَّ أُتْرُجُّهَا تَمِيْدُ بِهِ ... أَغْصَانُهُ بِحُسْنٍ مِنْهُ مَحْمُولاَ

سَلاَسِلٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ حَمَلَتْ ... مِنْ ذَهَبٍ أَصْفَرٍ قَنَادِيْلاَ

تكشف الأبيات عن مدى إعجاب الشّاعر بطبيعة البستان الذي دخله، إذ إنَّه يشبه الجنّة بما فيه من ثمار وأشجار وظلال وارفة، ويلتفت إلى شجر الأترج المُثْقَلَة بالثمار، وقد أخذت تتمايل فرحاً وتتراقص طرباً. ويكوّن الشاعر تشبيهاً تمثيليًّاً رائعاً، فيصوّر ثمار الأترج في اتصالها وتشابكها،

فكأنها سلاسل من الزّبرجد الأصفر، وتتراءى له كأنّها قناديل معلّقة على أغصان الشّجر، وقد تدلّت على رؤوسهم بسلاسل من الزّبرجد. ولا بدَّ من الإشارة إلى اقتباس الشّاعر من القرآن الكريم، فالبيت الثاني الذي يتحدّث عن ثمار ذلك البستان، فهي أشبه ما تكون بثمار الجَنّة، فإن شاءوا أكلوا منها قياماً أو قعوداً، ولهذا نجده يقتبس معنى البيت من قوله تعالى:﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وَذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً﴾[42].

2- الإجّاص

قبل الحديث عن وصف الإجاص، لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ الشعراء الأندلسيين كانوا يهتمون بوصف أنواع معيّنة من الثمار، فنجدهم يخصّونها بالوصف دون سواها، ويتّخذون منها مدخلاً للغزل أو المدح، أو الانتقال إلى غرض آخر، وهم بذلك يمزجون بين الطبيعة وأغراض الشعر، وقد يتجاوز بهم الأمر أحياناً إلى وصف بعض الثّمار على شجره، وأحياناً أخرى نجدهم يصفون الفاكهة التي كانت تُقدّم في مجلس الأنس والشّراب، وربّما ينتخب أحدهم صنفاً من الفاكهة ويبعث به هدية إلى شخص عزيز، ويكتب معها بعض الأبيات في وصفها، تعبيراً عن مكانة الشخص المهداة إليه تلك الفاكهة[43].

من ذلك هديّة الإجّاص التي بعثها اليربوعيَ القُرَشِيّ (عاش في القرن الثالث الهجري) إلى بعض الرؤساء، وكتب معها[44]: (الطويل)

بَعَثْتُ مِنَ الإِجَّاصِ سَبْعاً كَأَنَّهَا ... ثُدْيُ العَذَارَى لَمْ تُشَنْ بِالتَّكَعُّبِ

وَأَجْيَادُهَا إِنْ أَنْتَ أَحْسَنْتَ وَصْفَهَا ... ظِبَاءٌ لَوَتْ أَعْنَاقَهَا لِتَرْقَبِ

رسم الشّاعر في مقطوعته صورة حسيّة لحبّات الإجاص السّبع، فشبَّهها بأثداء فتيات حسانٍ، وقد أجاد في وصف أعناق الإجاص، فشبهها في التوائها بأعناق الغزلان التي لوت رقابها ملتفتة إلى شيء جذب انتباهها.

وبعث ابن عمّار (ت477هـ) إلى أحد أصدقائه هدية من التُّفَّاح والإجّاص، فقال[45]: (الكامل)

خُذْهَا كَمَا سَفَرَتْ إِلَيْكَ خُدُوْدُ ... أَوْ أَوْجَسَتْ فِي رَاحَتَيْكَ نُهُوْدُ

دُرَراً مِنَ التُّفَّاحِ تُنْثَرُ بَيْنَنَا ... وَلَهَا بِأَغْصَانِ الجِنَانِ عُقُوْدُ

وَشَفعتُ بِالإِجَّاصِ قَصْداً إِنَّهُ ... شَكْلُ الْجَمَالِ وَحْدَهُ المَحْدُوْدُ

عُذْراً إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ أَوْجُهٌ ... بِيْضٌ تُقَابِلُهَا عُيُوْنٌ سُوْدُ

فهذه الأبيات تقدّم لنا صورة في منتهى الرَّوعة، وهي تدلّ على مدى تعلق الشاعر بجمال الطبيعة، فنجده يخلع على ثمار الأشجار صفات الأنثى محاولاً إبراز معالم جمالها الحسيّ، وقد تجلّى ذلك في التّركيز على الصورة اللّونيّة للتفاح، فشبَّهه بخدود فتاة مُحْمَرّة خجلاً وحياءً، ثمَّ ينتقل إلى رسم شكلها، فشبَّهها بنهود مستديرة، وقد أمسكت بها راحتا كفّين ناعمتين حتّى تهدّئ من روعها.

ويسترسل الشّاعر في صورته، فينتقل إلى الصّورة الشّميّة ليشير من خلالها إلى رائحتها الذَّكيّة التي تنتشر في المكان، ثُمَّ ينتقل إلى إظهار معلم آخر من معالم جمالها، مشيراً إلى أنَّها تجلس مُعلّقة على جيد غصنٍ جميل، وفي هذا دليل على روعة جمالها فهي أشبه ما تكون بالعقد الذي يزيّن العنق. وينتقل للحديث عن القسم الثاني من هديته –أعني الإجّاص–الذي أشفعه بالتّفّاح، فأشار إلى أنّ الإجاص هو الجمال بعينه، فلا شيء يضاهيه أو يشابهه، إذ إنَّه يشبه عيون البقر. وفي الختام يلتمس العذر ممن أهدى له هذين الصنفين من الفاكهة جاعلاً من التّفّاح وجوهاً بيضاً توحي بالتفاؤل بوجه الممدوح، ومن الإجاص عيوناً سوداً توحي بالجمال، وهذا ما كشف عنه جمال الطباق الوارد في البيت الأخير.

ومن جميل ما قاله سليمان بن بطال الأندلسي في وصف الإجَّاص[46]: (السريع)

بَعَثْـــتُ مَـــا يَنْـــدُرُ لَكِنَّـــهُ ... فِـــي وَصْـــفِهِ النَّاعِـــتُ لَـــمْ يَبْـــرُرِ

جَيْشَـــاً مِـــنَ الـــزِّنْجِ وَلَكِنَّـــهُ ... جَـــيْشٌ مَتَـــى يَلْقَـــى العِـــدَا يُقْهَـــرِ

تَبْقَـــى بِـــهِ الصَّـــفْرَاءُ مَهْزُوْمَـــةً ... وَالـــزِّنْجُ أَعْـــدَاءُ بَنِـــي الأَصْـــفَرِ

يخاطب الشاعر صديقاً له كان قد بعث إليه شيئاً من ثمر الإجاص، الذي وصفه صديقه بأنه ثمر غير طيّب، غير أنَّ الأخير لم يكن صادقاً في هذا الوصف الذي نعته، وكشف الشاعر عن حقيقة هذا الثمر مشبهاً إياه بجيش من الزنج في اسوداده، ولكنه جيش شجاع قوي، وكأنّه يُكنّي بأن هذه الثمرات التي بعث بها غير سائغة، وهذا الإجاص يفوق الخمرة طعماً ولذَّة، وبهذا لا تساوي الخمرة أي قيمة إذا ما قورنت بالإجاص، ولهذا فهما في حال عداء دائم، كعداء الزنج للرّوم.

3- التُّفَّاح

لا بد من الإشارة إلى ظاهرة عامّة في الأشعار التي قيلت في وصف الثّمريّات، وهي أن أهل الأندلس كانوا يتهادون الفاكهة في المناسبات، كما يتهادون الزهور والرّياحين، وهذا يدلّ على الرّقي والتّحضّر في العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع، ويدلّ أيضاً على الذوق الرّفيع لصاحب الهديّة، فكان يحرص على انتقاء نفيس الثمر وأجمله شكلاً ولوناً وألذه مذاقاً، بحيث يليق بمنزلة الشخص المُهْدَى إليه، وبخاصّة إذا كان ملكاً أو أميراً أو وزيراً أو شاعراً أو شخصاً قريباً، والجميل في هذا أنَّهم –أعني الشعراء–كانوا يضمّنون هداياهم رسائل مكتوبة، وغالباً ما تكون أبياتاً شعريّة تصف الهديّة، وتبين قيمتها، وتكشف عن ذوق صاحبها في الاختيار، ومن أشهر أنواع الفاكهة إهداءً واستهداءً الإجاص والعنب والتفاح والتوت والعناب والرّمان.

وعند الحديث عن التفاح فإننا نجد أنّ الشعراء الأندلسيين قد أكثروا من وصفه، فمن ذلك قول ابن زيدون (ت463هـ) الذي ركّز على وصف ألوان تفّاحٍ أهداه إلى أحد أصدقائه وكتب معه[47]: (المتقارب)

أَتَتْـــكَ بِلَـــوْنِ الحَبِيْـــبِ الخَجِـــلْ تُخَـــالِطُ لَـــوْنَ المُحِـــبِّ الْوَجِـــلْ
ثَمِـــــارٌ تَضَـــــمَّنَ إِدْرَاكَهَـــــا هَـــوَاءٌ أَحَـــاطَ بِهَـــا مُعْتَـــدِلْ
تَـــــأَتَّى لِإِلْطَـــــافِ تَـــــدْرِيْجِهَا فَمِـــنْ حَـــرِّ شَـــمْسٍ إِلَـــى بَـــرْدِ ظِـــلْ
إِلَـــى أَنْ تَنَاهَـــتْ شِـــفَاءَ العَلِيْـــلِ وَأُنْـــسَ الخَلِيْـــلِ وَلَهْـــوَ الغَـــزَلْ
فَلَـــوْ يَجْمُـــدُ الـــرَّاحُ لَـــمْ يَعْـــدُهَا وَإِنْ هِـــيَ ذَابَـــتْ فَخَمْـــرٌ تَحِـــلْ
لَهَـــا مَنْظَـــرٌ حَسَـــنٌ فِـــي العُيُـــوْنِ كَـــــدُنْيَاكَ لَكِنَّـــــهُ مُنْتَقِـــــلْ
وَطَعْـــمٌ يَلَـــذُّ لِمَـــنْ ذَاقَـــهُ كَلَـــذَّةِ ذِكْـــرَاكَ لَـــوْ لَـــمْ يُمَـــلْ
وَرَيّـــا إِذَا نَفَحَـــتْ خِلْتُهَـــا تُمِـــلُّ ثَنَـــاءَكَ أَوْ تَسْـــتَهِلْ
يُمَثِّـــلُ مَلْمَسُـــهَا لِلأَكُفِّ فِ لِـــيْنَ زَمَانِـــكَ أَوْ يَمْتَثِـــلْ

والمتأمّل لهذه اللوحة يجد أنَّ الشاعر قد صبّ اهتمامه في رسمها على الصورة البصريّة التي تبض بالحركة، وقد أجاد في توظيف اللون، فاجتمع في التّفاحة اللونان الأحمر والأصفر، فربط من خلالهما بين حمرة خدّ الحبيب الخجل، وصفر لون المحبّ المضنى، ثمّ بيّن لنا هيئة التّفّاحة، إذ كانت غضَّة طريّة، إذ نمت في ظلّ جوٍّ معتدل، فحنا عليها متعهّداً إياها بظلٍّ باردٍ وشمس دافئة، فلّما استوت كانت شفاءً للمريض، وبهجة للمشتاق، ولهواً للمحبّ.

ثمّ يأخذ الشّاعر في تصوير حسن منظرها وطيب طعمها، فلو جمدت كانت خمراً، وإذا ذابت كانت شراباً حلالاً، ولم يقتصر الشّاعر على العين في رسم الصّورة، فقد برع في توظيف جملة من العناصر والحواس بغية التعبير عن صفات الممدوح، فقرن تارة جمال منظر التّفّاح الذي شبَّهه بمنظر دنيا الممدوح الرّائعة غير أنَّ الأوَّل زائل والأخيرة باقية، ثم اعتمد على حاسّة الذّوق من خلال استحضار عذوبة طعم التفاح وحلاوته؛ للتعبير عن اللّذّة والفرحة العارمة بلقاء الممدوح الذي ترك ذكريات حلوة لا تُملّ. أمَّا الحاسّة الشّميّة فقد وظّفها في معرض إشارته إلى شذا التّفاحة الطّيب، فذكّره برائحة الممدوح الشّذيّة التي اكتسبها منه، ثمّ يجيد الشّاعر الرّبط بين نعومة التّفاحة وليونة ملمسها، ونعومة زمن الممدوح عبر حاسّة اللّمس التي كنّى بها عن العيش الهانئ الرَّغيد.

وعلى الرَّغم من جمال اللوحة وروعة أسلوبها وحسن سبكها إلا أنّ ابن زيدون قد نظر في البيت الخامس إلى قول أبي نُوَاس (ت199هـ)، فأخذ معناه ونقله، وهو[48]: (السريع)

الْخَمْـــرُ تُفَّـــاحٌ جَـــرَى ذَائِبَـــاً كَـــذَلِكَ التُّفَّـــاحُ خَمْـــرٌ جُمِـــدْ

ولم تكن الثّمار توصف في البساتين فحسب، بل كانت توصف أيضاً في مجالس الأدب، وقد ذكر الحُمَيْدِيّ (ت488هـ) قصة طريفة عن وصف إسحق بن إسماعيل المُنادي (ت352هـ) لأريج

تفّاحة غضَّة، أهداها له فتى جميل، يُكنَّى أبا الوليد، فأبى الفتى أن يهديها إلا لمن يُحسِنُ وصفها، فكانت من نصيب إسحق المُنادي، فقال يصفها[49]: (الوافر)

مَجَـــالُ الْعَـــيْنِ فِـــي وَرْدِ الخُـــدُوْدِ يُـــذَكِّرُ طِيْـــبَ جَنَّـــاتِ الخُلُـــوْدِ
وَآرِجَـــةٌ مِـــنَ التُّفَّـــاحِ تَزْهُـــو بِطِيْـــبِ النَّشْـــرِ وَالْحُسْـــنِ الفَرِيْـــدِ
أَقُـــوْلُ لَهَـــا: فَضَـــحْتِ الْمِسْـــكَ طِيْبَـــاً فَقَالَـــتْ لِـــيْ: بِطِيْـــبِ أَبِـــي الوَلِيْـــدِ

فهذه الأبيات تلخصّ لنا جودة تفّاح الأندلس وما فيه من صفات فريدة، فخُمْرَتُه كخُمْرَة الخدود، وأريجه ذكيّ يذكّر بطيب الجَنَّة، وطعمه حلوّ كالشّهد. ويضفي الشّاعر على التفّاحة صفة الإنسان، فيقيم معها محاورة لطيفة تعبيراً عن إعجابه بعبقها الذي يفوق المسك طيباً، فما كان جوابها إلا لأنها كانت بيد ذلك الفتى الجميل، فكأنَّها أخذت منه جماله وذكاء رائحته.

ومن الصُّور البديعة في وصف التّفّاحة قول عبد المنعم الخزرجي (ت597هـ) المعروف بابن الفَرَس[50]: (الطويل)

وَتُفَّاحَـــةٍ يُهْـــدِي إِلَيْـــكَ نَسِـــيْمُهَا فَمَـــا شِـــئْتَ مِـــنْ طِيْـــبٍ يَـــنُمُّ لِنَاشِـــقِ
تَرُوْقُـــكَ مِنْهَـــا حُمْـــرَةٌ فَـــوْقَ صُـــفْرَةٍ كَوَجْنَـــةِ مَعْشُـــوْقٍ عَلَـــى خَـــدِّ عَاشِـــقِ

شكّل الشّاعر صورته الشعريّة، معتمداً على حاسّة الشّم، التي عبر من خلالها عن طيب الرائحة التي تتضوَّع من التّفّاحة، فيحمل النَّسيم عطرها الفوّاح إلى كُلِّ منَ يتنشَّق رائحتها العَطِرة، وقد زيّن تشبيهه المُجْمَل من خلال الصّورة اللّونيّة التي ركَّب فيها لوناً ممزوجاً من الأحمر والأصفر (حمرة فوق صفرة) لإبراز صفة جمالها وحسن منظرها، فلون التُّفّاحة يكاد يختلط بين الحمرة مع الصفر، فأبدع في رسم صورتها عبر أنسنتها وبثّ الحياة فيها، فشبَّهها بخدَّ الحبيب المُصفرّ، إذ وضعه على وجنة محبوبته التي تغيّر لونها إلى الأحمر للدَّلالة على الخجل.

وقد نظر ابن الفَرَس في تشبيهه إلى قول أبي هلال العسكري وأخذه[51]: (الطويل)

وَتُفَّاحَـــةٍ صَـــفْرَاءَ حَمْـــرَاءَ غَضَّـــةٍ كَخَـــدِّ مُحِـــبٍّ فَـــوْقَ خَـــدِّ حَبِيْـــبِ

وكلا التشبيهين ارتكزا على الصّورة اللّونيّة في الوصف وأجادا في ذلك، فاستوحى الشاعران لون التفاحة للتعبير عن لون الوجنة، والصورة في كلا البيتين متقاربة.

ومن جميل التشبيهات قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم اللورقيّ في وصف هديّة من التفاح الأصفر والأحمر، فبعث بها إلى أحد أصدقائه وكتب معها[52]: (الوافر)

بَعَثْـــتُ بِهَـــا وَلَا آلُـــوْكَ حَمْـــدَاً هَدِيَّـــةَ ذِيْ اصْـــطِنَاعٍ وَاعْـــتِلاقِ
خُـــدُوْدَ أَحِبَّـــةٍ وَافَـــيْنَ صَـــبَّاً وَعُـــدْنَ عَلَـــى ارْتِمَـــاضٍ وَاحْتِـــرَاقِ
فَحَمَّـــرَ بَعْضَـــهَا خَجَـــلُ التَّلاقِـــي وَصَـــفَّرَ بَعْضَـــهَا وَجَـــلُ الفِـــرَاقِ

فالشاعر هنا يتّكئ على التشبيه البليغ في الصورة التي رسمها للوحته، فشبّه التّفّاح الأحمر بخدود الأحبّة، فلمّا التقى بحبيبه احمرّت وجنتاه خجلاً، وشبّه التفاح الأصفر بخدود مصفرّة حزناً من مرض أو فراق، وتتجلى دلالة التشبيه في استخدام اللونين الأحمر والأصفر بقصد تزيين التشبيه، الذي عبّر فيه عن تذكّره لفراق حبيبه الذي رحل عنه، فاستخدم لذلك اللون الأصفر، أمّا اللون الأحمر فهو يذكر بحال الخجل في عند التلاقي.

ولأبي القاسم بن كامل الشّلبيّ مقطوعة بديعة في وصف تفاحة، يقول[53]: (البسيط)

أَحْبِبْ بِتُفَّاحَةٍ أَهْدَى الحَبِيْبُ لَنَا كَأَنَّ نَفْحَتَهَا مِنْ طِيْبِ نَفْحَتِهِ

رَطِيْبَةُ اللَّمْسِ فِي لَوْنَيْنِ مُشْرَبَةٌ كَأَنَّمَا غُذِيَتْ مِنْ مَاءِ وَجْنَتِهِ

تتجلّى روعة الصّورة التي رسمها الشّاعر للتّفّاحة المهداة إليه، بالاعتماد على ثلاث صور: شميّة، ولمسيّة، ولونيّة، فأمّا الشّمّيّة فصوّر لنا من خلالها نفحتها، إذ تنفث عطرها الفوّاح في جوّها، وتملأ المكان طيباً، فذكّرته بعطر المحبوبة الذي كانت تتأرّج رائحته، وأشار في الثانية إلى حاسّة اللّمس في إشارة إلى رطوبة التّفاحة ونعومة ملمسها، ولجأ الشّاعر في الثالثة إلى اللون لإظهار ما تتمتّع به من صفات الجمال، فأجاد في الرّبط بين لون التّفّاحة التي تشوبها الحُمرة، وحمرة خدّي المحبوبة يوحيان بالحياء.

4- التَّمْر

قليلة هي النماذج الشعرية التي قيلت في وصف التّمر؛ والسبب في ذلك يعود إلى انعدام وجوده في الأندلس، وقد علّق على ذلك المقريّ قائلاً: "ولا يعدم منها إلاّ التّمر"[54]. ويرجع الفضل في إدخال زراعة النخيل في الأندلس إلى الأمير الشاعر عبد الرحمن الداخل، الذي كان أوّل من زرع نخلة في مُنْيَة الرّصافة بقرطبة، وكانت تلك النخلة وحيدة مثله بعيدة عن موطنه الأصلي، ولطالما شعر بأنه غريب مثلها، بعد أن عاش بعيداً عن أهله ووطنه، وقد شكّلت تلك النخلة مثيراً من مثيرات الحنين إلى الوطن، فكلّما نظر إليها هاجت أشجانه، وحنَّ إلى وطنه، فقال[55]: (الطويل)

تَبَدَّتْ لَنَا وَسْطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ

فَقُلْتُ شَبِيْهِي فِي التَّغَرُّبِ وَالنَّوَى وَطُوْلِ اكْتِئَابِي عَنْ بَنِيَّ وَعَنْ أَهْلِي

ومن النّماذج الشعرية في وصف الرُّطب والتمر، قول ابن شرف القيرواني[56]: (الوافر)

وَمَطْبُوْخٍ بِغَيْرِ عَقِيْدِ نَارٍ عَزَمْتُ عَلَى جَنَاهُ بِابْتِكَارِ

تَوَابِيْت تَبَدَّتْ مِنْ عَقِيْقٍ مُقَمَّعَةٍ بِمَسْبُوْكِ النُّضَارِ

تَرَى لِصَفَاءِ جَوْهَرِهَا نَوَاهَا كَأَلْسِنَةِ الْعَصَافِيْرِ الصِّغَارِ

وقف الشّاعر متأملاً ثمار التّمر، وأخذ يصفها لنا باطناً وظاهراً بعد أن رام جناها، فتراءت له عناقيد النخل وكأنها عقيق أحمر منظوم، وبدت له من شدّة نضجها بعد أن لوّحتها حرارة الشّمس وأثّرت فيها، كأنما قد طبخت بغير نار، وانتقل إلى وصف باطنها مشبّهاً صفاء نواها ونقاءه بألسنة العصافير الصغار.

وقد وصف ابن الأبّار(ت658هـ) تمراً أهداه لأحد أصدقائه، فقال[57]: (الطويل)

وَتِبْرِيَّـــةِ الأَكْمَـــامِ شَـــهْدِيَّةِ الجَنَـــى ... حَلَّـــتْ وَتَحَلَّـــتْ زَاكِيَـــاتِ الخَلائِـــقِ

لَهَـــا عَجَـــمٌ فِـــي العُـــرْبِ وُلِـــدَ مُنْجِبَـــاً ... وَحَسْـــبُكَ مِنْهَـــا بِالسَّـــوَامِي السَّـــوَامِقِ

كَـــأَنَّ بِأَعْلاهَـــا إِذَا اخْضَـــرَّ بُسْـــرُهَا ... مَشَـــاعِلَ تَهْـــدِي فِـــي الـــدُّجَى كُـــلَّ طَـــارِقِ

تتجلى في هذه اللوحة الرائعة قدرة الشّاعر على توظيف اللّون، وكأنّه خبير بالصور التي توحيها له بيئته، فاستعار اللون الأحمر للتّدليل على حُمْرة البُسر، الذي يظهر للناظر من بعيد كأنه مشاعل تنير عتمة الليل وترشد التائهين في الصّحراء، وهذا يدّل على ثقافة الشاعر ومعرفته بطبيعة حياة العرب مع أنه لم يعش في الصحراء، وقد أجاد في توظيف اللون الأحمر عبر الرّبط بين لون البسر والنار، فبدت الصورة أحلى وأبهج وأروع. وقد وصف الشّاعر حلاوة طعم التّمر، فهو طيب المذاق كالعسل، ولفت أنظارنا في البيت الثاني إلى ما فيه من صفات لا تحصى، وقد خصّنا بواحدة، وهي العلوّ والرفعة، وكأنه يشير إلى أشجار النخيل الباسقة التي تطاول السماء طولاً وارتفاعاً.

5- التُّوت

من الشعراء الذين أبدعوا في وصفه إسماعيل بن بدر، يقول في توت أهداه[58]: (الطويل)

تَفَاءَلْـــتُ بِـــالتُّوْتِ التَّـــأَتِّي لِـــزَوْرَةٍ ... وَذَلِـــكَ فَـــأْلٌ -مَـــا عَلِمْـــتُ- صَـــدُوْقُ

فَأَهْدَيْتُـــهُ غُضَّـــاً حَكَـــى حَـــدَقَ المَهَـــا ... لَـــهُ مَنْظَـــرٌ بِالحُسْـــنِ مِنْـــهُ يَـــرُوْقُ

وَبَعْـــضٌ حَكَـــى اليَـــاقُوْتَ مِنْـــهُ احْمِـــرَارُهُ ... وَمَـــا مَجَّـــهُ للـــذَّائِقِيْنَ رَحِيْـــقُ

فَـــذَا سَـــبَجٌ -فِيْمَـــا يُـــرَى- لاسْـــوِدَادِهِ ... وَذَا -لاحْمِـــرَارِ اللَّـــوْنِ مِنْـــهُ- عَقِيْـــقُ

نلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر كثّف طاقاته التصويريّة ليبرزه صورته، فعمد إلى توظيف الألوان توظيفاً دلاليّاً في رسم الصورة، كما استعان بخياله الواسع في إبراز شكل التوت الذي يشبه عيون البقر شكلاً، بالإضافة إلى طراوته وعذوبة مذاقه وجمال منظره، ثمَّ حشد الشاعر ألوانه؛ من أجل تقريب الصورة، فصوَّر لنا نوعين من التوت الأحمر والأسود في صورتين جميلتين، فشبَّه التوت الأحمر في بريقه ولمعانه بالياقوت والأحجار الكريمة ذات اللون الأحمر، وشبّه ما اسودَّ من التوت بالخرز الشّديد السَّواد.

ومن جميل التشبيهات في وصفه قول علي بن أبي الحسين[59]: (البسيط)

أَبْـدَى لَنَـا التُّـوْتُ أَصْـنَافاً مِـنَ الحَـبَشِ جُعْـدَ الشُّـعُوْرِ مِـنَ الأَطْبَـاقِ فِـي فُـرُشِ

كَـــأَنَّ أَحْمَرَهَـــا مِـــنْ بَـــيْنِ أَسْـــوَدِهَا بَقِيَّـــةُ الشَّـــفَقِ البَـــادِي مَـــعَ الغَـــبَشِ

حشد الشّاعر اللونين الأحمر والأسود في صورته، وعبّر من خلالهما عن جمال منظر التوت الذي رآه، فجسّم شكله بالزنوج المتجعّدي الشَّعْر، ثمَّ عمد إلى التشبيه التَّمثيليّ في البيت الثاني، فصوَّر ما احمرَّ واسودَّ منه بحمرة الشَّفق التي تلوح في الأفق عند الغروب، وفي هذا يشير إلى النّقط البيضاء التي تعلو وجه التوت، فكأنها غبش يشوب حمرته وسمرته.

ولابن شرف القيرواني (ت460هـ) تشبيه جميل، فأجال بصره في صحن مليء بالتوت، وما لبث أن ذكّره بالجراح، فقال[60]: (السريع)

انْظُـــرْ إِلَـــى تُـــوْتِ الجِنَـــانِ الَّـــذِي وَافَـــى بِـــهِ النَّـــاطُوْرُ فِـــي جَـــامِ

يَحْكِـــي جِرَاحَـــاً دَمُهَـــا سَـــائِلٌ لَـــدَى جُسُـــوْمٍ مِـــنْ بَنِـــي حَـــامِ

يلتفت الشاعر إلى منظر التوت الذي أتى به ناطور الكرم موضوعاً في وعاء، فرسم لنا صورة له تقوم على التشبيه المُجمل، إذ شبَّه التوت الأحمر بالجراح التي تسيل من هامة رجل زنجي، ينسب إلى قبيلة حام بن نوح.

وقال ابن الخطيب (ت776هـ) في وصف توت أبيض[61]: (الطويل)

وَبِـــيْضٍ كَـــدُوْدِ القَـــزِّ زَادَ اشْـــتِبَاهُهَا وَأَفْـــرَطَ حَتَّـــى بِـــالتَّكَوُّنِ فِـــي التُّـــوْتِ

تَعَجَّبْـــتُ مِنْهَـــا فِـــي بَنَـــادِقِ جَـــوْهَرٍ يُزَيِّنُهَـــا مَـــا احْمَـــرَّ مِنْهَـــا بِيَـــاقُوْتِ

هنا يلتفت الشّاعر إلى دود القز (الحرير) الذي يعيش على ورق التّوت، فيعمل مخيّلته على إنتاج تشبيهين: الأول مبتكر بديع إذ شبّه ثمرة التوت بدود القزّ، فلذلك بدا الشّاعر مستغرباً، فالتوت الأبيض يشبه دود القزَّ شكلاً وتكويناً. أمَّا التشبيه الثاني فقد نحا فيه منحى تقليدياً في وصف التوت الذي تخالطه حمرة، فبدا كأنَّه مرصَّع بياقوت أحمر.

6- التِّين

قال ابن السّيد البَطَلْيُوْسِيّ (ت521هـ) يصف تيناً أسود[62]: (الكامل)

أَهْـــلاً بِتِـــيْنٍ كَـــالنُّهُوْدِ حَوَالِـــكٍ ضُـــمِّخْنَ مِسْـــكَاً شِـــيْبَ بِالْكَـــافُوْرِ

(وَكَـــأَنَّ مَـــا زُرَّتْ عَلَيْـــهِ جُيُوْبُهَـــا شَـــهْدٌ يُشَـــابُ بِسُمْسُـــمٍ مَقْشُـــوْرِ

وَكَأَنَّمَـــا لَبِسَـــتْ لُجَيْنَـــاً مُحْرَقَـــاً فِيْـــهِ بَقَايَـــا مِـــنْ بَيَـــاضِ سُـــطُوْرِ

يشبّه الشاعر التين الأسود بالنهود السود التي ضُمِّخَت بالمسك يخالطه الكافور، ويستعير الشَّطر الأول من بيت أبي نواس الذي وصف فيه الخمر (فَلْخَمْرُ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوْبُهَا)[63]، فيشبّه

حلاوة طعم التّين بِشَهْدٍ مَشُوْب بسمسم مقشور، ثم يلتفت إلى الخطوط البيضاء التي تخالط سواده، فيشبهها ببقايا بياض سطور مُسْوَدَّة.

وقد ألغز بعض الشعراء في التين، فمن ذلك قول أبي محمّد الحضرميّ المعروف بابن صاحب الصلاة (ت578هـ) ملغزاً في باكورة تين[64]: (الوافر)

وَمَـــا شَـــيءٌ نَمَـــاهُ العُـــوْدُ حَتَّـــى ... تَنَـــاهَى بِالنَّمَـــاءِ إِلَـــى الصَّـــلاحِ

تَكَفَّلَـــهُ الهَـــوَاءُ بِـــدَرّ سَـــكْرَى ... مِـــنَ الأَنْـــوَاءِ صَـــيِّبَةٍ رَدَاحِ

طَلَتْـــهُ الشَّـــمْسُ مِسْـــكَاً ثُـــمَّ خَطَّـــتْ ... بِكَـــافُوْرٍ عَلَيْـــهِ يَـــدُ الرِّيَـــاحِ

خُطُوْطَـــاً بِالْبَيَـــاضِ عَلَـــى سَـــوَادٍ ... كَمَـــا خَـــطَّ الـــدُّجَى ضَـــوْءَ الصَّـــبَاحِ

فالشاعر يُلغز في التين الأسود والأخضر، الذي يُسَمّى عندنا "التين الخضاريّ"، فشّبه خطوطه البيضاء فوق حبّات التين، بخطّ ضوء الصباح الذي يمحو عتمة الليل شيئاً فشيئاً.

ومن جميل ما قاله ابن خفاجة (ت533هـ) في التين[65]: (المتقارب)

وَقَـــدْ كُنْـــتُ أَغْـــرَى بِلُعْـــسِ الشِّـــفَاهْ ... فَكَيْـــفَ بِـــهِ وَهْـــوَ كُـــلٌّ لَعَـــسْ

وَهَـــا هُـــوَ يَبْسِـــمُ تَخْطِيْطُـــهُ ... وَقَـــدْ كَـــانَ بِـــالأَمْسِ يَتْلُـــو عَـــبَسْ

وَقَـــدْ سَـــالَ مِـــنْ فَمِـــهِ شَـــهْدُهُ ... كَمَـــا سَـــالَ رِيْـــقُ حَبِيْـــبٍ نَعَـــسْ

يلتفت ابن خفاجة إلى حبّات التين التي تجلس مطمئنة في حضن أمها على الأغصان، فتذكّره بالشّفاه اللّعسة التي يشوبها القليل من السّواد، ثمّ يصف حبّات التين الناضجة المُخَطَّطة، وقد فتحت أفواهها مبتسمة في الصَّباح، فأخذ عسلها يتقاطر، مُشبّهاً سيلان الشَّهد من فمها بسيلان الرّيق من فم حبيب نعس.

وفي مقطوعة أخرى يصف ابن خفاجة في التين بقوله[66]: (المتقارب)

وَسُـــوْدِ الوُجُـــوْهِ كَلَـــوْنِ الصُّـــدُوْدْ ... تَبَسَّـــمْنَ تَحْـــتَ عُبُـــوسِ الغَـــبَشْ

إِذَا مَـــا تَجَلَّـــى بَيَـــاضُ الضُّـــحَى ... تَطَلَّعْـــنَ فِـــي وَجْهِـــهِ كَـــالنَّمَشْ

كَـــأَنِّيَ أُقْطِّـــفُ مِنْهَـــا ضُـــحَىً ... ثُـــدِيَّ صِـــغَارِ بَنَـــاتِ الحَـــبَشْ

ففي هذه اللوحة يصف الشّاعر نوعاً آخر من التين وهو"السُّواديّ"، وقد اعتمد على التشبيه المُجمل في رسم صورته لشكل التين ولونه، فلونه يضرب إلى السّواد، ويفتح أفواهه متبسماً ضاحكاً رغم حلكة الليل، ثمُّ يكشف لنا عن صورة وجوه حبّ التين عندما يلوح بياض الفجر، فتظهر النّقط البيضاء التي تشوب السّواد منه، فتبدو كأنّها نمش يعلو على الوجه، وفي هذا إيحاء إلى جمال منظر التين الأسود الذي يخالطه البياض تنقيشاً. وفي البيت الأخير رسم الشّاعر صورة عارية لثمرات التين بعد أن دنا منها، فبدت له كأثداء بنات سوداوات.

ولأبي القاسم بن كامل الشِّلبيّ مقطوعة في صفة التين ارتجالاً، يقول[67]: (الكامل)

وَبَنَـــاتِ فَـــرْعٍ كَـــالنُّهُودِ حَكَـــى لَنَـــا ... رِيْـــقَ الثُّغُـــورِ رُضَـــابُهَا السَّلْسَـــالُ

قَـــدْ خُـــطَّ بِالكَـــافُوْرِ مِسْـــكُ وُجُوْهِهَـــا ... وَاخْتَـــالَ تَحْـــتَ أَدِيْمِهَـــا الجِرْيَـــالُ

فَكَأَنَّمَـــا مَـــا ابْـــيَضَّ مِنْـــهُ فِضَّـــةٌ ... وَكَأَنَّمَـــا مَـــا اسْـــوَدَّ مِنْـــهُ الخَـــالُ

يصف الشّاعر ثمار التين الساكنة على الأغصان، فيشبهها بالنهود المتدليّة، وقد لجأ إلى تزيين تشبيهه المجمل من خلال الكشف عن حلاوة العسل الذي يتقاطر من التين، فشبهه بالريق العذب الصافي الذي يسيل من فم المحبوب، ثم يصف لنا كيف غطَّت أوراق الشجرة وجوهها حماية لها، ويكشف داخلها وقد بدا محمرّاً، ثمَّ شبّه ما ابيضّ من داخل حبَّة التين بالفضة، وما اسودّ منها بالخال الذي يزيّن صفحة الخدّ، ويتراءى لنا من خلال هذه التشبيه براعة الشّاعر في رسم صورة محسوسة لحبّات التين، وما تكشفه لنا من أوصاف رائعة تبعث في نفس المتلقي ارتياحاً، وتحرّك فيه إحساساً ليتصوّر الأشياء كأنما يراها رأي العين.

وكما أحبّ كثير من الشّعراء التّين، فإنَّ بعضهم كانوا له كارهين، ويظهر من أبيات لابن سعيد الأندلسي أنَّه كان له كارهاً ومبغضاً، فقال[68]: (السريع)

لَا مَرْحَبَـــاً بِـــالتِّيْنِ لَمَّـــا بَـــدَا ... يَسْـــحَبُ مِـــنْ لَيْـــلٍ عَلَيْـــهِ الْوِشَـــاحْ

مُمَـــزَّقِ الجِلْبَـــابِ يَحْكِـــي لَنَـــا ... هَامَـــةَ زِنْجِـــيٍّ عَلَيْهَـــا جِـــرَاحْ

وَإِنْ تُصَـــحِّفْهُ فَـــلا حَبَّـــذَا ... مَـــا قَـــدْ أَتَـــى تَصْـــحِيْفُهُ بِـــانْتِزَاحْ

فالشاعر هنا يرسم صورته معتمداً على التشبيه المجمل على نحو مقطوعة ابن خفاجة، غير أنَّه قدّم لنا صورة منفّرة للتين الذي رآه، فلمَّا قُدّم إليه ذمَّه وتصوّره ليلاً حالكاً من شدَّة اسوداده، وقد بدت حبات التين في نضجها كجرح مفتوح، فتراءى للشّاعر منظر عبد زنجي مشجوج الهامة، تسيل من رأسه الدّماء. ومن شدَّة بغض الشّاعر له أشار في البيت الأخير إلى أنَّه لو صُحِّفت لفظة "التين"، فأبدل الحرف الأول منه باءً، لدلّ على معنى سلبي، وهو البين والفراق.

7- حَبّ الملوك[69]

قال ابن الخطيب في وصفه[70]: (البسيط)

انْظُـــرْ إِلَيْهَـــا تَجِـــدْ حَـــبَّ المُلُـــوْكِ بِهَـــا ... وَقَـــدْ حَكَـــى نَوْرُهَـــا المِبْـــيَضُّ حِـــيْنَ فُـــتِحْ

قُطْنَـــاً تَـــرَاكَمَ فِـــي الأَغْصَـــانِ إِذْ قَـــذَفَتْ ... لَفَـــائِفَ الـــثَّلْجِ فِـــي أَعْـــلاهُ "قَـــوْسُ قُـــزَحْ"

يدعو الشاعر إلى تأمّل حبّ الملوك على أغصان شجرته، وقد بدا نورها المبيضّ عندما فتحت لتذوّق طعمها، وقد وظَّف ابن الخطيب اللّون للتَّدليل على المراحل التي تمر بها ثمرة حبّ الملوك من أبيض إلى أحمر لأسود، وهذه الألوان تشبه ألوان قوس قزح.

ومن الصور البديعة في وصف "حبّ الملوك" قول ابن حربون[71]: (الوافر)

خُـــذُوْا بَـــاكُوْرَةَ الثَّمَـــرِ القَرِيْـــبِ تُحَـــدِّثُكُمْ عَـــنِ الأَلْمَـــى الشَّـــنِيْبِ

وَمَـــا حَـــبُّ المُلُـــوْكِ بَعَثْـــتُ لَكِـــنْ بَعَثْـــتُ إِلَـــيْكُمُ حَـــبَّ القُلُـــوْبِ

فهذان البيتان يأتيان في إطار تهادي الثمار بين الأصدقاء، وكان الشّاعر قد بعث باكورة من "حبّ الملوك" الذي يشبه في سواده سمرة الشفتين في حال نضجه، فيستحيل من الحُمرة إلى السّواد. وكان قد أهدى هذا الثمر لأحد أصدقائه تعبيراً عن حبّه وتقديره له، فكان ما بعثه بمثابة حبّات قلبه التي كنَّى بها عند إخلاصه ووفائه لذلك الصّديق.

وقد أجاد أبو بكر بن سَكَن الشِّلبيّ في وصف شجر القَرَاسِيا[72] الذي يُعرَف في الأندلس "بحَبّ المُلُوك"، وقد تهدَّلت أغصانه لكثرة ما يحمل من ثمار، ثم يلتفت إلى ألوان الثمار قبل نضجها وبعده، فسرعان ما يتغيّر لونها من الحمرة إلى السّواد إيذاناً بنضجها، وقد برع الشّاعر في تشبيهه البليغ "لحبّ الملوك" ومثّله لنا كأننا نراه عياناً، فما احمرَّ منه فصوص العقيق، وما اسودّ منه عيون المها، فقال[73]: (المتقارب)

وَدَوْحٍ تَهَـــــــــدَّلَ أَغْصَـــــــــانُهُ رَعَـــى الطَّـــرْفُ مِـــنْ حُسْـــنِهِ مَـــا اشْـــتَهَى

فَمَـــا احْمَـــرَّ مِنْـــهُ فُصُـــوْصُ العَقِيْـــ ـــقِ وَمَـــا اسْـــوَدَّ مِنْـــهُ عُيُـــوْنُ المَهَـــا

8- الخوخ

ممن وصفوه علي بن معمر المَالَقِيّ، فقال: [74] (السريع)

يَـــا حَبَّـــذَا الخَـــوْخُ إِذَا مَـــا بَـــدَا فِـــي الأَغْصُـــنِ المُخْضَـــرَّةِ المُلْـــدِ

مَـــنْ ذَاقَـــهُ ذَاقَ لَمَـــى شَـــادِنٍ مَبْسَـــمُهُ أَحْلَـــى مِـــنَ الشَّـــهْدِ

صَـــــوَّرَهُ اللهُ لَنَـــــا فِضَّـــــةً بَيْضَـــاءَ تَحْكِـــي خِلْقَـــةَ النَّهْـــدِ

يقف الشاعر متأمِّلاً ثمار الخوخ اللَّدنة التي تكسو الأغصان المُخْضَرّة، وبرع في توظيف الصورة الذَّوقية في الإشارة إلى حلاوة طعمه، فمن ذاقه كأنَّما ذاق شفاه الغلام الجميل، ثُمَّ يوظّف اللَّون في لوحته، فيشير إلى لون الخوخ الفضّيّ المبيضّ قبل النضج، ثُمَّ يستحيل في نضوجه، فيصبح في صورة لون النَّهد.

ومن الصور البديعة في وصف الخوخ قول ابن هذيل الأندلسي(ت389هـ)[75]: (السريع)

فِـــي نِصْـــفِهَا مِـــنْ خَجَلِهَـــا حُمْـــرَةٌ وَبَيْنَهَـــا طُـــرُقٌ لِطَـــافٌ دِقَـــاقْ

كَأَنَّهَـــا فِـــي بَعْضِـــهَا عَاشِـــقٌ زَاحَمَهَـــا لِلَـــثْمِ أَوْ لِلْعِنَـــاقْ

يصف الشَّاعر ثمرة الخوخ مشبّهاً إياها بالإنسان الخجل، إذ يخالط حمرتها بعض السّواد، كالمعشوق الذي يخالط حمرته السواد حين الخجل، وتتجلَّى دقة الوصف في إظهار الخطوط اللَّدنة

الدَّقيقة، ويرى المتأمّل فيها العشق، فهذه الثمرة المحمرة المسودة، تشبه العاشق حين يُقْبِلُ على لثم وتقبيل معشوقه.

من أحسن ما قيل في الخوخ (المُشَعَّر) قول أبي بكر بن القُرْطُبِيَّة[76]: (الوافر)

وَبِنْـــتِ نَـــدَىً مُخَطَّطَـــةِ الأَعَـــالِي ... بِمُحْمَـــــرٍّ كَلَـــــوْنِ الأُرْجُـــــوَانِ

كَوَجْنَـــةِ غَـــادَةٍ خَافَـــتْ رَقِيْبَـــاً ... فَغَطَّتْهَـــــا بِمُحْمَـــــرِّ الْبَنَـــــانِ

تظهر براعة الشّاعر في استحضار صورة جميلة للخوخة التي تأمّلها عن قرب، موظّفاً اللون الأحمر في التشبيه، إذ شبّه لون الخوخة الحمراء المُخطَّطة بخطوط بيضاء، بلون الأرجوان الشّديد الحُمْرة، كما شبّة شدّة احمرارها، بوجنة فتاة حسناء خجلة، غطّت وجهها بأطراف أصابعها المخضوبة بلون العنّاب، خوفاً من مراقب يتربّص بها شرّاً.

وله مقطوعة أخرى في وصف الخوخ المُخْمَليّ، يقول[77]: (البسيط)

وَطَيِّـــبِ الرِّيْـــقِ عَـــذْبٍ آبَ فِـــي آبِ ... وَزَارَ مُشْـــــتَمِلاً فِـــــي زِيِّ أَعْـــــرَابِ

فِـــي مُخْمَـــلِ الثَّـــوْبِ لَـــمْ تَحْمُـــلْ رَآسَـــتُهُ ... بَـــيْنَ الفَوَاكِـــهِ مِـــنْ نَقْـــصٍ وَلَا عَـــابِ

خَالَسْـــتُهُ نَظَـــرِي فَـــاحْمَرَّ مِـــنْ خَجَـــلٍ ... ثُـــمَّ انْثَنَـــى مُعْرِضَـــاً عَنِّـــي كَمُرْتَـــابِ

مَـــنِ اسْـــمُهُ فِيْـــهِ مَقْلُوْبَـــاً وَمُبْتَـــدَأً ... أَرْبَـــى عَلَـــى اللَّـــوْزِ فِـــي تَطْرِيْـــزِ جِلْبَـــابِ

كثَّف الشّاعر صوره في هذه اللوحة للتعبير عمَّا يتميّز به الخوخ من صفاتٍ، وقد اعتمد على بثّ الرّوح الإنسانية في الخوخ، فجعله كالكائن الحيّ الذي جاء زائراً لابساً أجمل الثياب، ثُمَّ يشير إلى حسن منظره ولذاذة طعمه، فلا يعاب بشيء، بل هو من أفضل أنواع الثّمار، ويلتفت الشّاعر إلى اللون مستخدماً معنى ضمنيّاً، فأشار إلى حمرته لمَّا خالسه النّظر، ثمَّ جاء بتشبيه رائع صوَّر فيه إعراض الخوخ عن اللقاء به خجلاً واستحياءً، بالمرتاب الذي يشكّ في صدق النّوايا. ولا تخلو الأبيات من إشارة طريفة من الشّاعر إلى كلمة "الخوخ" إذ إنها تقرأ من طرفيها، وهو ما يعرف يمنة ويسرة، وهو ما يعرف بـ "ما لا يستحيل بالانعكاس"، ويؤكّد الشّاعر إعجابه ثانية به مشيراً إلى أنَّ لونه يفوق اللوز حسناً وجمالاً.

9- الرُّمَّان

تُحدّثنا المصادر الأندلسية عن قصّة طريفة حول دخول الرُّمَّان إلى بلاد الأندلس، فذكر المقريّ أنَّ الأمير عبد الرحمن الدّاخل بعث رسولاً إلى دمشق لإحضار أخته أمّ الأصبغ من الشّام، بعدما استقرّت أحواله في الأندلس، فاعتذرت عن السَّفر معه لتقدمها في السّنّ، وعدم مقدرتها على تحمّل مشاقّ السَّفر، وأرسلت لأخيها جملة من الهدايا، من بينها رُمَّانة تنسب إلى رُصافة هشام بن عبد الملك، فلمّا وصل الرّسول، عرضه على الأمير الذي كان بحضرته جملة من خواصّه من أهل الشّام، فأخذوا يذكرون الشّام ويتأسّفون عليها، وكان فيمن حضر سَفَر بن عبيد الكَلاَعِيّ، فَشَقَّ الأمير

الرُّمَّانـة ووزّع أجزاءهـا علـى جلسـائه، فأكل كلّ واحدٍ نصيبه، إلا سَفَر الكَلاَعِـيّ الـذي كـان عارفـاً بالزراعة، فاحتفظ بـه، وسار بجزئه إلى حيث يقيم بكُورَة رَيَّة، فعالج عَجَمَه، واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتّى طلع شجراً أثمر وأينع، فنزع إلى عِرْقِه، وأغرب في حسنه، وحمل ثمره إلى الأمير، فإذا هو يشبه الرُّمَّان الرّصافيّ، فلمّا سأله عنه، عرّفه وجه حيلته، فاستبرع استنباطه، وشكر صنعه. وبهذا انتشرت زراعته في أرجاء الأندلس، وأصبح يُعرف "بالرُّمَّان السَّفري" نسبة إلى سَفَر بن عبيد الله الكَلاَعِي، ويمتاز هذا النوع من الرُّمَّان بعذوبة الطَّعم، ورقّة العَجَم، وغزارة الماء، وحسن الصورة[78].

وقد وصف هذا النوع من الرّمّان أحمد بن فرج الجياني (ت366هـ)، فقال[79]: (المتقارب)

وَلَابِسَـــــةٍ صَـــــدَفَاً أَصْـــــفَرَا ... أَتَتْـــكَ وَقَـــدْ مُلِئَـــتْ جَـــوْهَرَا

كَأَنَّـــكَ فَـــاتِحُ حُـــقٍّ لَطِيْـــفٍ ... تَضَـــمَّنَ مَرْجَانَـــهُ الأَحْمَـــرَا

حُبُوْبَـــاً كَمِثْـــلِ لِثَـــاتِ الحَبِيْـــبِ ... رُضَـــابَاً إِذَا شِـــئْتَ أَوْ مَنْظَـــرَا

وَللسَّـــفْرِ تُعْـــزَى وَمَـــا سَـــافَرَتْ ... فَتَشْـــكُو النَّـــوَى أَوْ تُقَاسِـــي السُّـــرَى

بَلَـــى فَارَقَـــتْ أَيْكَهَـــا نَاعِمَـــاً ... رَطِيْبَـــاً وَأَغْصَـــانَها نُضَّـــرَا

منح الشّاعر في هذه الأبيات صورته الشّعرية صفة الحياة، وجمع فيها لوحته بين الصورة البصريّة والحركيّة والذّوقيّة واللونيّة، وقد بثّ الشّاعر في الرّمّانـة الحياة، فصوّرها بفتاة تلبس ثوباً أصفر مُرصَّعاً بالجواهر، وقد أظهر جمال حبوب الرُّمَّان، فشبهها تارة في صفّها وانتظامها بالجواهر المُرصّعة، وتارة أخرى يشبّهها بالمرجان الأحمر الموضوع في وعاء مُغطّى، فمن يفتحه يتراءى له أنّه مملوء بالمرجان. وعمد الشاعر إلى الصورة اللّونية في البيت الثالث فشبّه حبوب حبّ الرّمَّان باللّثة الحمراء التي تحيط بأسنان المحبوبة النَّاصعة البياض.

ولسعد الخير البَلَنْسِيّ (ت571هـ) صورة رائعة لرمانة مُفَتَّحَة، يقول[80]: (المتقارب)

وَسَـــاكِنَةٍ فِـــي ظِـــلالِ الغُصُـــوْنِ ... بِـــــرَوْضٍ تَرُوْقُـــكَ أَفْنَانُـــهُ

تُضَـــاحِكُ أَتْرَابَهَـــا فِيْـــهِ إِذْ ... غَـــدَا الجَـــوُّ تَـــدْمَعُ أَجْفَانُـــهُ

كَمَـــا فَـــتَحَ اللَّيْـــثُ فَـــاهُ وَقَـــدْ ... تَضَـــرَّجُ بِالـــدَّمِ أَسْـــنَانُهُ

في هذه الأبيات نجد الشاعر يعمل مخيّلته في رسم صورة إيحائيّة لحبّة الرُّمَّان المفتوحة عندما أبصرها ساكنة في ظلال أغصان الشّجرة، فبدت له ضاحكة باسمة عندما فتحت فاها، فأخذت تضاحك مثيلاتها من حبّات الرّمَّان التي تجلس ساكنة على الغصون، فابتكر الشّاعر صورة بديعة لمنظر تلك الرّمَّانة، فقد جسّمها بالأسد الذي فغر فاه، إذ تشابه الاثنان في الحركة، وهي فتح الفمّ، وتشابها في اللّون أيضاً، إذ شبّه حبوب حبّ الرّمان الأحمر، بأسنان الأسد التي تضرّجت بالدّماء. وهي صورة إيحائية جميلة رائعة.

ولابن الخطيب في رمانة[81]: (البسيط)

رُمَّانَـــةٌ رَاقَ مِنْهَـــا مَنْظَـــرٌ عَجَـــبٌ تُرِيْـــكَ صُـــوْرَتُهَا إِبْـــدَاعَ بَارِيْهَـــا

كَأَنَّمَـــــا حَبُّهَـــــا دُرٌّ، وَظَاهِرُهَـــــا حُـــقٌّ، وَمِـــنْ شَـــحْمِهَا قُطْـــنٌ يُوَارِيْهَـــا

بدا الشّاعر معجباً بمنظر الرّمانة الذي يفتن النّاظر، ففيها يتجلّى إبداع الخالق –عزَّ وجلّ–، فشبّه حبوبها بالجواهر، وظاهرها بالوعاء الجميل، وشبّه رقائق الشّحم التي تفصل بين حبوب حبّ الرّمّان بالقطن الذي يسترها ويحفظها من الأذى.

10- السَّفرجل

ومن النَّماذج الرائعة في وصفه، تلك القطعة التي نظمها الوزير الحاجب جعفر المصحفي (ت372هـ) ارتجالاً في سفرجلة، فقال[82]: (الطويل)

وَمُصْـــفَرَّةٍ تَخْتَـــالُ فِـــي ثَـــوْبِ نَـــرْجِسِ وَتَعْبَـــقُ عَـــنْ مِسْـــكٍ ذَكِـــيِّ التَّـــنَفُّسِ

لَهَـــا رِيْـــحُ مَحْبُـــوْبٍ وَقَسْـــوَةُ قَلْبِـــهِ وَلَـــوْنُ مُحِـــبٍّ حُلَـــةَ السَّـــقمِ مُكْـــتَسِ

فَصُـــفْرَتُهَا مِـــنْ صُـــفْرَتِي مُسْـــتَعَارَةٌ وَأَنْفَاسُـــهَا فِـــي الطِّيْـــبِ أَنْفَـــاسُ مُؤْنِسِـــي

فَلَمَّـــا اسْـــتَتَمَّتْ فِـــي القَضِـــيْبِ شَـــبَابَهَا وَحَاكَـــتْ لَهَـــا الأَنْـــوَاءُ أَبْـــرَادَ سُـــنْدُسِ

مَـــدَدْتُ يَـــدِي بِـــاللُّطْفِ أَبْغِـــي اقْتِطَافَهَـــا لأَجْعَلَهَـــا رَيْحَـــانَتِي وَسْـــطَ مَجْلِسِـــي

وَكَـــانَ لَهَـــا ثَـــوْبٌ مِـــنَ الزُّغْـــبِ أَغْبَـــرّ يَـــرِفُّ عَلَـــى جِسْـــمٍ مِـــنَ التِّبْـــرِ أَمْلَـــسِ

فَلَمَّـــا تَعَـــرَّتْ فِـــي يَـــدِي مِـــنْ لِبَاسِـــهَا وَلَـــمْ تَبْـــقَ إِلاَّ فِـــي غُلالَـــةِ نَـــرْجِسِ

ذَكَـــرْتُ بِهَـــا مَـــنْ لَا أَبُـــوْحُ بِـــذِكْرِهِ فَأَذْبَلَهَـــا فِـــي الكَـــفِّ حَـــرُّ تَنَفُّسِـــي

فهذه اللوحة تنبض بالحياة والحركة، إذ بثّ فيها الشّاعر الرّوح الإنسانية، معتمداً على عنصر التّشخيص، حتّى يظنّ المرء أنّه يصف فيها محبوبته، فنجده يتبّع المراحل التي مرّت بها السّفرجلة حتى استوت ونضجت، ويسبغ عليها صفات إنسانية، إذ شبّهها بفتاة تمشي بزهوٍ واختيال، وقد عبقت منها روائح الطيّب، ولبست أجمل الثياب، وقد برع الشّاعر في تحسس مواطن الجمال في الوصف، فأعمل مخيلته تمهيداً لعقد مقارنات بين حاله وحال السّفرجلة، فمنظر السّفرجلة حرّك فيه أشياء ذكّرته بالأحبّة الذين طال غيابهم؛ ولهذا اندفع الشاعر باحثاً مفكراً عن المدلولات التي توحيها له هيئة السّفرجلة، فنسج هذه القطعة الرائعة بخيوط رقيقة ومعانٍ أنيقة، وألوان تعبّر عن عاطفة صادقة، وأنفاس حرّى تكشف عن زفرات الألم والحزن، وتكمن روعة الصورة الشعريّة في الاعتماد على عنصر الشّمّ الذي كشف من خلاله عن عبق الرائحة التي تتضوّع من السّفرجلة، فهي تذكّره بالمحبوبة التي كانت تنفح بالمسك والرياحين، ولذلك استعار أنفاس السّفرجلة للتعبير عن أنفاس حبيبته التي تفوح بالطيب. ولحضور اللون الأصفر معانٍ إيحائية تكشف لنا عن حالة الحزن التي

يعيشها الشّاعر جرّاء بعد المحبوب، فأصبح شاحب اللون من الهمّ والحزن، ولهذا نجده يستعير اللون الأصفر للتعبير عمَّا يعانيه من ألم، غير أنَّ الدلالة الحقيقية للون الأصفر هو التشبيه إذ شبّهها بالذهب الخالص.

وعلى هذا النحو يمضي الشّاعر في التّخيّل وصولاً إلى الصورة اللّمسيّة، فبعد أن قطفها وتحسّسها وفركها، فاحت رائحتها الطيّبة التي ذكّرته بمحبوبته، فأطبق بيده عليها من شدّة الشّوق والحنين، فسرعان ما ذبلت من حرارة الأنفاس التي أشعلتها زفراته. وليس بخافٍ الأثر الذي تركته الصورة الحركية على نفس المتلقي في هذه اللوحة، إذ تدفعه إلى تتبع الصور والمشاهد بالترتيب، وتظهر ألفاظ الحركة في (تختال) و(مددت) و(تعرَّت).

ومن جميل ما وصفت به السَّفرجلة[83]: (المتقارب)

سَـــــفَرْجَلَةٌ جَمَعَـــــتْ أَرْبَعَـــــاً نَظَمْـــنَ لَهَـــا كُـــلَّ مَعْنَـــىً عَجِيْـــبِ

صَـــفَاءَ النُّضَـــارِ وَطَعْـــمَ العُقَـــارِ وَلَـــوْنَ المُحِـــبِّ وَرِيْـــحَ الحَبِيْـــبِ

وظَّف الشّاعر الصُّورة اللّونيَّة والذّوقيّة والشّمّيّة في إظهار جمال التشبيه البليغ، فقد وظَّف اللون الأصفر بلفظة تدلُّ عليه، وهي (النُّضار) للدّلالة على أنها –أي السفرجلة– شديدة الاصفرار في صفائها، فهي تشبه الذّهب الخالص، كما أنَّها تشبه صفرة وجه الحبيب المُدنف حزناً على فراق إلفه، وتتمثّل الصورة الذّوقيّة في (طعم العُقار)، فطعمها ألذّ من الخمرة، أمَّا الصورة الشّميّة فتظهر (ريح الحبيب) التي تشير إلى طيب رائحتها العبقة الزّكيّة، فعندما يشمّها يتذكر رائحة حبيبته، ولا يخفى ما في هذين البيتين من حسن التَّشْطِيْر والتَّقسيم في اشتمال السفرجلة على أربع صفات جميلة، مما أكسب البيتين جرساً موسيقياً عذباً.

ولأبي بكر محمد بن القوطيّة وصف رائع للسفرجل[84]: (البسيط)

وَزَعْفَرَانِيَّـــةٍ فِـــي ثَـــوْبِ مَحْـــزُوْن تَـــرُوْقُ طَعْمَـــاً وَشَـــمَّاً فِـــي البَسَـــاتِيْنِ

مُصْـــفَرَّةٍ مِـــنْ بَنَـــاتِ الحُسْـــنِ تَحْسَـــبُهَا فِـــي زُغْبِهَـــا مَيِّتَـــاً فِـــي ثَـــوْبِ تَكْفِـــيْنِ

قَـــدْ رُنِّحَـــتْ فَـــوْقَ أَغْصَـــانٍ تُرَجِّحُهَـــا وَفُلِّكَـــتْ كَثَـــدْيِ الزَّبْـــرَبِ العِـــيْنِ

تتجلى روعة الصّورة في توظيف اللّون والحواسّ، فاستعار الشّاعر لون الزَّعفران الأصفر الزَّاهي اللّون للسفرجلة، فبدت لابسة ثوباً أصفر دلالة على حزنها وشحوبها، غير أنَّ حلوة طيّبة الطَّعم، ذات رائحة ذكيّة. وانتقل الشّاعر إلى تصوير زغبها الأبيض الذي يحيط بها، فصوَّرها كالميت الملفوف في كفن، وقد برع الشّاعر في توظيف عنصر الحركة عبر الإشارة إلى تمايل ثمار السّفرجل على الأغصان، فبدت كمن يتراقص طرباً وفرحاً، ثمَّ يشير إلى استدارتها فشبهها بنهود الفتيات الحسان.

ويظهر أن ابن سارة الشَّنْتَرِيْنِيّ (ت517هـ) لم يكن متشائماً من السّفرجل بسبب صفار لونه الذي يذكّر بالحزن والألم، لا بل كان متفائلاً به، ولهذا يدعونا إلى عدم التّطيّر والتشاؤم منه، وذلك من خلال تصحيف لفظة (سفرجل) بإبدال الجيم حاءً، فتصبح (سفر حل)، وهذا ما لم يرده الشّاعر، فهو لا يدعو إلى الرّحيل خوفاً من وقوع البلاء كما يظهر في البيت الثالث، وإنَّما أراد تجزئة لفظة (سفرجل) كما يظهر من البيت الثاني، فتخرج عبارة: (بثّ يفرج لي)، أي سيكون بعد الحزن الفرج. يقول[85]: (البسيط)

مَـا فِـي السَّـفَرْجَلِ شَـيءٌ يُسْـتَطَارُ بِـهِ ... وَلَا تَكُـــنْ مَطْوِيَّـــاً عَلَـــى وَجَـــلِ

إِنِّـــي نَظَـــرْتُ إِلَـــى تَصْـــحِيْفِ أَحْرُفِـــهِ ... فَانْفَـكَّ مِـنْهُنَّ لِـي: بَـثٌّ يُفَـرَّجَ لِـي

وَلَـــمْ أَقُـــلْ سَـــفَرٌ حَـــلَّ الْـــبَلاءُ بِـــهِ ... أَوْ حَـــلَّ مِنْـــهُ وُقُـــوْعُ الحَـــادِثِ الجَلَـــلِ

11- العُنَّاب

قال أبو بكر محمد بن القوطيَّة في وصفه[86]: (البسيط)

أَمَـــا تَـــرَى شَـــجَرَ العُنَّـــابِ مُـــوْقَرَةً ... بِكُـــلِّ أَحْمَـــرَ لَمَّـــاعٍ مِـــنَ الخَـــرَزِ

وَقَـــدْ تَـــدَلَّتِ الأَغْصَـــانُ مَائِلَـــةً ... مِثْـلَ العَنَاكِيْـلِ مِـنْ صَـدْرٍ إِلَـى عَجُـزِ

وَقَـــدْ حَمَتْـــهُ عَـــنِ الأَيْـــدِي أَسِـــنَّتُهَا ... حِـــذَارَ مُفْتَـــرِسٍ أَوْ خَـــوْفَ مُنْتَهِـــزِ

انظر وتفكَّر في شجر العنَّاب الموقر بثمره الأحمر اللّمَّاع كالخرز، وقد تدلّت أغصانه من ثقل ما حملت، ومالت ميلان العناقيد من رأس الشجرة إلى ساقها. ثمَّ إنَّ هذه العناقيد محميّة لا تستطيع الأيدي أن تقطفها بسبب الشّوك الذي يحيط بها، فلا يستطيع أن يقطفها مفترس لها أو منتهز لقطافها، وكأنَّ الطّبيعة قد وقفت حارسة عليها من الأذى.

ومن التشبيهات البديعة في وصف العُنَّاب قول ابن رافع الأندلسيّ: فهو تارة وجنات معشوق حمراء، وأخرى خرزات عقيق[87]: (الرجز)

أَحْبِـــبْ بِعُنَّـــابٍ بَـــدَا أَنِيْـــقِ ... كَمِثْـــلِ لَـــوْنِ وَجْنَـــةِ المَعْشُـــوْقِ

أَوْ خَـــرَزٍ لُمَّـــتْ مِـــنَ العَقِيْـــقِ ... أَوْ كَقُلُـــوْبِ الطَّيْـــرِ فِـــي التَّحْقِيْـــقِ

جَـــاءَتْ بِهَـــا شَـــعْوَاءُ رَأْسَ نِيْـــقِ ... كَأَنَّمَـــا اشْـــتُقَّ مِـــنَ الشَّـــقِيْقِ

أَوْ كَـــانَ يُسْـــقَى بِجَنَـــى الرَّحِيْـــقِ ... أَحْلَـــى مِـــنَ السُّـــكَّرِ فِـــي الحُلُـــوْقِ

فِي نَكْهَةِ العَنْبَرِ والخَلُوقِ

قد بدا العنَّاب أنيقاً متناسقاً كوجنة المعشوق التي تحمّر وتتورّد من شدَّة الخجل، أو مثل الخرز الذي صيغ من العقيق أو كقلوب الطيَّر على التَّأكيد. وهذا العنَّاب حملته أنثى العقبان من قمّة الجبل، ولحمرته كأنما صيغ من الشَّقيق، أو كان يغذّى بخلاصة الرّحيق، فهو أشدَّ حلاوة من السّكّر

في الحلوق عند مأكله. ويلاحظ أنَّ الشاعر قد أبدع في وصف العنَّاب أيّما إبداع، ولم نعهد له نظيراً في الأدب العربي القديم.

ويظهر من خلال استقراء النصوص الشعرية أنَّ ابن رافع الأندلسي كان متخصصاً في وصف العناب، ويبدو أنَّه كان يحبّه حبَّاً جمّاً، ولذلك نجده يكثر من ذكره والحديث عنه في كثير من مقطوعاته، ومن ذلك قوله[88]: (السريع)

كَأَنَّمَـــا العُنَّـــابُ لَمَّـــا بَـــدَا يَلُـــوْحُ فِـــي أَعْطَـــافِ غُصْـــنٍ أَنِيـــقْ
تَطْرِيْـــفُ مِـــنْ تَطْرِيْفِهَـــا مِـــنْ دَمِـــي أَوْ خَـــرَزَاتٍ خُرِطَـــتْ مِـــنْ عَقِيـــقْ
أَوْ كَقُلُـــوبِ الطَّيْـــرِ جَـــاءَتْ بِهَـــا أَفْرَاخُهَـــا شَـــغْوَاءُ فِـــي رَأْسِ نِيـــقْ

المتأمّل لهذه الأبيات يجد أنّها تشبه سابقاتها لفظاً ومعنى وتشبيهاً، مع شيء من الزّيادة والتوضيح؛ إذ ركّز الشاعر على منظر العنّاب الأنيق عندما أخذ يلوح على أغصان شجرته، ثُمَّ يستعير لون دمه موظّفاً إيّاه توظيفاً رائعاً في الإشارة إلى شدّة احمرار لون العنّاب، ويبرع الشّاعر في رسم صورة دقيقة لشكله، بحيث يظهر حسن منظره وجمال ترصيعه، فتبدو عناقيد العنّاب كأنَّها خرز أحمر من العقيق المرصّع والمصفوف بطريقة دقيقة، وهنا يكمن سرّ الجمال الرّبّاني في حسن شكل العنّاب؛ إذ لم تتدخّل يد الإنسان في هندسته وشكله.

وبالنَّظر إلى البيت الأخير نجد الشّاعر يشير إلى طراوة حبّ العنّاب، مستوحياً معناه من بيت امرئ القيس المشهور الذي وصف فيه عقاباً وهي تلقي قلوب الطَّير لفراخها، فبعضها كان طريّاً دامياً، وبعضها كان جافّاً يابساً، والبيت هو[89]: (الطويل)

كَـــأَنَّ قُلُـــوْبَ الطَّيْـــرِ رَطْبَـــاً وَيَابِسَـــاً لَـــدَى وَكْرِهَـــا العُنَّـــابُ وَالْحَشَـــفُ الْبَـــالِي

اقتبس ابن رافع تشبيهه في البيت الثالث من بيت امرئ القيس، وعلى الرغم من أنَّ الأخير كان أوّل من ابتدع هذا التشبيه، فإنَّ شاعرنا قد تأثّر به، ونقل الصّورة في بيته.

ونجد ابن رافع الأندلسي في مقطوعة أخرى يستعير الألفاظ نفسها التي استخدمها الشّعراء القدماء في تشبيهاتهم وإشاراتهم إلى الألوان والأشكال، وهذه المرّة يصوّر ثمار العنّاب التي تتدلّى على الأغصان، فظهرت له على شكل أقراط من الياقوت التي تزيّن أذن فتاة حسناء، مضيفة إليها شيئاً من الجمال الصِّناعي إضافة إلى جمالها الطبيعيّ، وبالنظر إلى تصويره لحمرة العنّاب نجده يستعمل لفظ (العَنَمْ)، وهو ضرب من الشّجر له نَوْرٌ أحمر تشبّه به البنان المخضوب، يقول[90]: (السريع)

كَأَنَّمَـــا العِنَّـــابُ فِـــي دَوْحِـــهِ لمَّـــا تَنَـــاهَى حُسْـــنُهُ وَاسْـــتَتَمْ
أَقْـــرَاطُ يَـــاقُوْتٍ تَبَـــدَّتْ لَنَـــا أَوْ أَنْمُـــلٍ قَـــدْ طُرِّفَـــتْ بِـــالْعَنَمْ

وممّا قاله ابن سهل الإشبيلي(ت649هـ) قبل إسلامه في وصف العناب الأخضر[91]: (السريع)

هَـــاتِ اسْـــقِنِي القَهْـــوَةَ فِـــي سَـــبْتِنَا فَـــإِنَّ يَـــوْمَ السَّـــبْتِ يَـــوْمُ السُّـــرُورْ
أَمَـــا تَـــرَى العُنَّـــابَ فِـــي دَوْحِـــه كَأَنَّـــهُ رَطْـــبُ قُلُـــوْبِ الطُّيُـــورْ

فهذا ابن سهل الإشبيلي يطلب من السّاقي أن يسقيه عصارة العنَّاب، كما تشرب القهوة في يوم السبت، الذي هو محفوف بالسرور، ويصرّح الشّاعر أنّ العنَّاب في دوحه يشبه قلوب الطّيور الرّطبة.

12- العنب

أهدى ابن زيدون إلى جدّه صنفاً من العنب يستخدم دواءً وغذاءً، وكتب معه[92]: (الخفيف)

قَـــدْ بَعَثْنَـــاهُ يَنْفَـــعُ الأَعْضَـــاءَ حِـــيْنَ يَجْلُـــو -بِلُطْفِـــهِ-السَّـــحْنَاءَ
جَـــاءَ يُزْهَـــى بِمُسْتَشَـــفٍّ رَقِيْـــقٍ يَخْـــدَعُ العَـــيْنَ رِقَّـــةً وَصَـــفَاءَ
تَنْفُـــذُ العَـــيْنُ مِنْـــهُ فِـــي ظَـــرْفِ نُـــوْرٍ مَلأَتْـــهُ أَيْـــدِي الشُّـــمُوسِ ضِـــيَاءَ
أَكْسَـــبَتْهُ الأَيَّـــامُ بَـــرْدَ هَـــوَاءٍ فَهُـــوَ جِسْـــمٌ قَـــدْ صِـــيْغَ نَـــاراً وَمَـــاءَ
مَنْظَـــرٌ يُـــبْهِجُ القُلُـــوْبَ وَطَعْـــمٌ تَشْـــكُرُ الـــنَّفْسُ عَهْـــدَهُ اســـتمراءَ
يَفْضَـــحُ الشَّـــهْدَ طَعْمُـــهُ -كُلَّمَـــا قِيْـــ سَ إِلَيْـــهِ-وَيُخْجِـــلُ الصَّـــهْبَاءَ
فَضَـــلَ السَّـــابِقَ المُقَـــدَّمَ -فِـــي النُّضْـــ ـــجِ-فَـــأَزْرَى بِطَعْمِـــهِ إِزْرَاءُ
غَيْـــرَ أَنِّـــي بَعَثْـــتُ هَـــذَا غِـــذَاءً -يَشْـــتَهِيْهِ الفَتَـــى- وَذَاكَ دَوَاءَ
مُلْطِـــفٌ يُبْـــرِدُ المِـــزَاجَ إِذَا جَـــا شَ الْتِهَابَـــاً وَيَقْمَـــعُ الصَّـــفْرَاءَ
وَمُعِـــيْنٌ لِوَاصِـــلِ الصَّـــوْمِ يَسْـــرِي بَـــرْدُهُ فِـــي الحَشَـــا فَيَـــرْوِي الظِّمَـــاءَ

فهذه القصيدة أشبه ما تكون بوصفة طبيّة تشتمل على فوائد جمة للعنب الذي أهداه؛ فهو ينفع الأعضاء ويصقل البشرة ويكسب الإنسان نضارة وصفاءً، ثمّ يصف الشّاعر منظر العنب فهو رقيق شفّاف لامع برّاق، حتى يظنّ المرء أنَّه هواء، ومنظره يبهج القلوب، وطعمه حلو المذاق، فهو كالشهد حلاوة، وقد شبّه العنب بالجسم، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الشاعر قد بعث صنفين من العنب، وقد تجلى ذلك في البيت الثامن، وكأنه يشير إلى العنب الأبيض الذي فيه الغذاء، والأحمر الذي فيه الدّواء، ثم ينتقل إلى الحديث عن فوائد ذلك العنب فهو يهدّئ اضطراب الجسم، ويشفي من أمراض الكبد التي تحيل لون الإنسان إلى أصفر شاحب، كما أنَّه يعين على الصوم، ويطفئ العطش ويمنح الجسم نشاطاً وحيوية.

وأنشد أبو بكر المروانيّ في صفة عنب[93]: (البسيط)

أَبْصَـــرْتُ حُسْـــنَ عَنَاقِيْـــدٍ بِكَرْمَتِنَـــا وَالصُّـــبْحُ تُمْحَـــى لَـــهُ بِاللَّيْـــلِ آيَـــاتُ
فَخِلْتُـــهُ أُفُقَـــاً مِـــنْ سُـــنْدُسٍ جُمِعَـــتْ نُجُوْمُـــهُ فَبَـــدَتْ كَثُرَيَّـــاتُ

أعجب الشاعر بعناقيد العنب التي أبصرها في بستانه، عندما انبلج الصَّباح وكشف عتمة الليل، فظَّن أنَّ هذه العناقيد المخضرّة كأنها سُنْدس جمعت نجومه، فبدت ثرياتٍ في كبد السّماء. وفي الشطر الثاني من البيت الأول هناك اقتباس بالإشارة إلى الآية القرآنية الكريمة﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾[94].

وتذكر كتب الأدب أن الشّعراء كانوا يتبارون في وصف الفاكهة في مجالس الملوك والأمراء والقادة، من ذلك ما ذكره ابن بسّام عن حضور الأديب أحمد بن الشِّقَاق المعروف بالمنفتل، في مجلس القائد ابن درّي بِجَيَّان، هو وأبو زيد بن مَقَانا الأُشْبُوْنِيّ، فأحضر لهما عنباً أسودَ قد قطف في غير أوانه، وغُطِّي بورق أخضر، فارتجل المنفتل[95]: (الكامل)

عِنَــبٌ تَطَلَّــعَ مِــنْ حَشَــى وَرَقٍ لَنَــا صُــبِغَتْ غَلائِــلُ جِلْــدِهِ بِالإِثْمِــدِ

فَكَأَنَّــهُ مِــنْ بَيْــنِهِنَّ كَوَاكِــبٌ كُسِــفَتْ فَلاحَــتْ فِــي سَــمَاءِ زَبَرْجَــدِ

أجاد الشاعر في توظيف اللَّون في لوحته، حيث السّواد والخضرة والحمرة، فقد كشف عن الخضرة من خلال الورق الذي يحيط بعناقيد العنب، وقد شبَّه قشور جلده الخارجيَّة بثياب رقيقة مصبوغة باللون الأسود، وبدا طلوع هذه العناقيد من بين الورق كالكواكب التي كسفت في السماء، فظهرت في سماء الزبرجد المتعدد الألوان، وكأنَّ عناقيد العنب تشبه هذا الحجر الكريم المتعدد الألوان.

وقد وظَّف ابن عبد ربه (ت328هـ) الصورة اللونيّة في وصف العنب، فقال[96]:(البسيط)

أَهْــدَيْتَ بِيْضَــاً وَسُــوْدَاً فِــي تَلَوُّنِهَــا كَأَنَّهَــا مِــنْ بَنَــاتِ الــرُّوْمِ وَالْحَــبَشِ

عَــذْرَاءُ تُؤْكَــلُ أَحْيَانَــاً وَتُشْــرَبُ أَحْيَانَــاً فَتَعْصِــمُ مِــنْ جُــوْعٍ وَمِــنْ عَطَــشِ

ففي هذين البيتين تشبيه تمثيلي رائع، اعتمد عليه الشّاعر في رسم صورة العنب الأبيض والأسود، فصوّر الأبيض منه بالفتيات الرُّوميّات البيضاوات الجسوم، وصوّر العنب الأسود بالفتيات الحبشيات السّمراوات، وتكمن قيمة الصورة اللونيّة في تزيين التشبيه من خلال الكشف عن جماليات الصورة الواردة في البيت الأوّل. ثم أشار الشّاعر إلى ما في العنب من فوائد، فأكله يَعْصِمُ من الجوع، وشرابه يمنع العطش.

ومن النماذج النَّمطيّة في وصفه قول ابن هذيل الأندلسي[97]: (الخفيف)

وَبِسَــلٍّ فِيْــهِ يُــرَى مِــنَ العِنَــبِ الغَضْــ ضِ شَــبِيْهُ العنَّــابِ فِــي الاحْمِــرَارِ

رَقَّ مِنْــهُ أَدِيْمُــهُ فَهْــوَ كَالْيَــا قُــوْتِ يُسْــتَامُ بَــيْنَ أَيْــدِي التُّجَّــارِ

وَغَذَّتْــهُ الأَيَّــامُ فَهْــوَ أَنَابِيْــ ب طِــوَالٌ عَلَــى جِفَــانٍ قِصَــارِ

تأتي الصورة الشّعرية في هذه الأبيات في إطار تقليدي، لم يخرج فيه الشّاعر عن إطار من سبقه من الشّعراء لفظاً ومعنىً وتشبيهاً، فشبّه العنب الموضوع في سلَّة بالعناب الأحمر تارة، وأخرى يشبّه رقّة جلده واحمرارها بالياقوت، ثم جاء بالتشبيه البليغ في البيت الثالث فشبّه العنب وقد خرج من السّلة بالأنابيب الطّوال.

13- الموز

من لطيف الأشعار في صفته تلك القطعة التي نظمها ابن شرف القيرواني[98]: (السريع)

يَـــا حَبَّـــذَا المَـــوْزُ وَإِسْـــعَادُهُ ... مِـــنْ قَبْـــلَ أَنْ يَمْضُـــغَهُ المَاضِـــغُ

لانَ إِلَـــى أَنْ لَا مَجَـــسَّ لَـــهُ ... فَـــالفَمُ مَـــلآنُ بِـــهِ فَـــارِغُ

سِـــيَّانَ قُلْنَـــا: مَأْكَـــلٌ طَيِّـــبٌ ... فِيْـــهِ وَإِلاَّ مَشْـــرَبٌ سَـــائِغُ

إِنْ قِيْـــلَ فِيْمَـــا قَـــدْ حَـــلا طَيِّـــبٌ ... فَـــالمَوْزُ حُلْـــوٌ طِيِّـــبٌ بَـــالِغُ

أَحْلَـــى مَـــذَاقاً مِـــنْ دِمَـــاءِ العِـــدَا ... مُكِّـــنَ فِيْهَـــا أَسَـــدٌ وَالِـــغُ

فهذه المقطوعة تصوّر لنا سهولة أكل الموز، فهو سريع الأكل، سهل المضغ، فالذي يأكله لا يحسُّ ولا يدرك أنَّه يأكل شيئاً؛ وذلك لسهولة بلعه، لدرجة أنَّ الفم يكاد يكون فارغاً رغم امتلائه به، وهو على الحالتين أكلاً وشراباً لذيذ طيّب المذاق؛ لأنَّه ينساب بسهولة لحظة انحداره في الحلق، وهو شراب ألذّ مذاقاً من الدّماء التي يشربها الأسد من ضحاياه. ويتجلّى جمال الأبيات في الصّورة الذوقيّة التي رسمها الشاعر للموز معتمداً على العين واللّمس والذّوق، ويظهر ذلك في لفظة (إسعاده) التي تدلّ على حسن المنظر، ولفظة (لان) التي تدلُّ على نعومة الملمس، ولفظة (حُلو طيّب) التي تدلّ على حلاوة الطّعم ولذاذته.

ولابن شرف مقطوعة أخرى يصف فيها الموز بقوله:[99]: (مجزوء الرجز)

هَـــلْ لَـــكَ فِـــي مَـــوْزٍ إِذَا ... ذُقْنَـــاهُ قُلْنَـــا: حَبَّـــذَا

فِيْـــهِ شَـــرَابٌ وَغِـــذَا ... يُرِيْـــكَ كَالمَـــاءِ القَـــذَى

لَـــوْ مَـــاتَ مَـــنْ تَلَـــذَّذَا ... بِـــهِ لَقِيْـــلَ: ذَا بِـــذَا

في هذه المقطوعة نجد ابن شرف يكرر صوره ومعانيه التي ذكرها في مقطوعته السابقة، فلم يتعمَّق في ابتكار معاني جديدة، ونجده كذلك يكرر ألفاظاً بعينها معتمداً على التشبيه المجمل، الذي عبّر من خلاله عن طيب طعمه ومذاقه، فهو شراب وغذاء، وقد شبّهه بالقذى الذي يطفو على الماء، ثم أشار الشّاعر إلى شدّة حبّ الناس لأكله، لدرجة أنّهم يكادون يموتون من عدم التوقفّ عن أكله، ولو قيل غير هذا الكلام لكان ما قال كلاماً فاحشاً غير مستساغ.

ولعل من أجمل الأشعار التي قيلت في الموز قول ابن جُبَيْر (ت614هـ) يخاطب من أهدى إليه موزاً[100]: (المجتث)

يَـــا مُهْـــدِيَ الْمَـــوْزِ تَبْقَـــى وَمِيْمُـــهُ لَـــكَ فَـــاءُ

وَزَايُـــهُ عَـــنْ قَرِيْـــبٍ لِمَـــنْ يُعَادِيْـــكَ تَـــاءُ

فالشّاعر هنا يتحدّث ملغزاً في الموز في أسلوب لا يخلو من طرافة، ففي البيت الأول يدعو للممدوح بالفوز في الدنيا والسلامة وطول البقاء، وذلك من خلال إبدال ميم كلمة (موز) فاءً فتصبح (فوز)، ومن جهة أخرى يدعو بالموت على كلّ من يذمّ ممدوحه ويعيبه، عبر إبدال زاي كلمة (موز) تاء فتصبح (موت).

14- النَّارنج

تفنَّن الشّعراء الأندلسيون في وصف أشجار النّارنج وثماره، إذ كانت تنتشر في معظم بلاد الأندلس، فأحبّها النّاس كثيراً، وأوحت لهم ثمارها بصور مبتكرة وتشبيهات غريبة، وقد علَّق على ذلك مصطفى الشكعة بقول: "لعل أكثر الثمرات سحراً لناظري الشاعر هي ثمر النَّارنج، وبخاصة وهي عالقة في أغصانها، لعلها هي وفصيلتها كلها من أمتع ما يقع عليه نظر مرتادي البساتين، ومن ثمّ كانت النَّارنجة وأختها الأترجة من أكثر الثمار جرياناً على ألسنة الشعراء، كلّ يحاول أن يرسم منها وهي محمولة على غصنها لوحة تسر العين وتبهج الخاطر"[101].

ومن الصور الفريدة في وصف النَّارنج على شجره قول ابن سارة[102]: (الطويل)

أَجَمْـــرٌ عَلَـــى الأَغْصَـــانِ دَارَتْ نَضَـــارَةٌ بِـــهِ أَمْ خُـــدُوْدٌ أَبْرَزَتْهَـــا الهَـــوَادِجُ

وَقُضْـــبٌ تَثَنَّـــتْ أَمْ قُـــدُوْدٌ نَـــوَاعِمٌ أُعَـــالِجُ مِـــنْ وَجْـــدِي بِهَـــا مَـــا أُعَـــالِجُ

أَرَى شَـــجَرَ النَّـــارَنْجِ أَبْـــدَى لَنَـــا جَنَـــىً كَقَطْـــرِ دُمُـــوْعٍ ضَـــرَّجَتْهَا اللَّـــوَاعِجُ

كُـــرَاتُ عَقِيْـــقٍ فِـــي غُصُـــوْنِ زَبَرْجَـــدٍ بِكَـــفِّ نَسِـــيْمِ الـــرِّيْحِ مِنْهَـــا صَـــوَالِجُ

نُقَلِّبُهَـــا طَـــوْرَاً وَطَـــوْرَاً نَشُـــمُّهَا فَهُـــنَّ خُـــدُوْدٌ بَيْنَنَـــا وَنَـــوَافِجُ

أثارت ثمار النَّارنج دهشة الشّاعر، فوقف متسائلاً عن حقيقة ما أبصرت عيناه، فتارة تتراءى له الثمار جمراً على الأغصان، وتارة أخرى تبدو خدوداً مُحمّرة أبرزتها الهوادج. وقد أجاد الشّاعر في توظيف عنصر الحركة، فالتبس عليه الأمر ثانية، فأخذ يتساءل عمّا إذا كانت أغصان الأشجار التي تتعطف وتتمايل قضباً، أم هي قدود فتيات جميلات. وبعد أن اتضّحت الصورة أمامه كشف لنا عن حقيقة النارنج الذي فتن ناظريه، فشبهه بكرات من العقيق المعلّقة على غصون من الزّبرجد، وعندما يلمسها أو يشمّها تنبعث منها ريح طيّبة.

ومن بديع الصور في وصف النارنج، قول الشريف الأصم (من شعراء القرن السادس الهجري) في وصف نارنجة نصفها أحمر ونصفها الآخر أخضر[103]: (البسيط)

وَبِنْتِ أَيْكٍ دَنَا مِنْ لَمْسِهَا قُزَحٌ ... فَلاحَ مِنْهُ عَلَى أَزْجَائِهَا أَثَرُ

يَبْدُو لِعَيْنَيْكَ مِنْهَا مَنْظَرٌ عَجَبٌ ... زَبَرْجَدٌ وَنَضَارٌ صَاغَهُ المَطَرُ

كَأَنَّ مُوْسَى كَلِيْمَ اللهِ أَقْبَسَهَا ... نَاراً وَجَرَّ عَلَيْهَا كَفُّهُ الخَضِرُ

فهذه الأبيات من الصّور المخترعة في الوصف، وتظهر روعة التّصوير في لون النارنجة الذي أعارها إيّاه قوس قزح لمَّا دنا منها وكاد أن يلمسها، ويتراءى للأعين منظرها العجيب، فتبدو كالياقوت في بريقها ولمعانها، ويوظّف الشّاعر الشَّخصيّات الدينيّة في صورته اللّونيّة واللّمسيّة مستحضراً لون النار التي ظهرت لسيّدنا موسى – عليه السلام–في الطّور، فأراد أن يحمل منها قبساً، ويستحضر شخصيّة سيّدنا الخضر–عليه السلام– الذي رافق نبيّنا موسى وتعلّم منه أشياء كثيرة، فكأنَّه مسح النارنجة بيده تبرّكاً.

وما من شكٍّ في أنَّ مجير الدّين بن تميم (ت684هـ) قد نظر إلى المعنى وأخذه، فقال[104]: (البسيط)

انْظُرْ إِلَى قُضُبِ النَّارَنْجِ حَامِلَةً ... زُمُرُّداً صَاغَه المَطَرُ

كَأَنّ كَلِيْمَ اللهِ أَقْبَسَهَا ... نَاراً وَجَرَّ عَلَيْهَا ذَيْلَهُ الخَضِرُ

ولابن الفرس نموذج يخالف ما ذكره مصطفى الشكعة آنفاً، فبدا مهتماً بوصف نارنجة ملقاة في نهر، فقال:[105]: (الطويل)

وَنَارَنْجَةٍ فِي النَّهْرِ تَحْسَبُ أَنَّهَا ... شَرَارَةُ جَمْرٍ فِي الرَّمَادِ تَلُوْحُ

وَمَا هُوَ إِلاّ الرَّوْضُ أَبْدَى شَقِيْقَهُ ... يُهَدِّبُهَا غُصْنٌ هُنَاكَ مَرُوْحُ

أَوِ الدّرْع تَصْفُو فَوْقَ أَعْطَافِ فَارِسٍ ... غَدَا فِي رَحَى الْهَيْجَاءِ وَهْوَ جَرِيْحُ

تَغِيْبُ وَتَبْدُو مَرَّةً فَكَأَنَّهَا ... عَقِيْقَةُ بَرْقٍ فِي الخَبِيِّ تَلُوْحُ

كَأَنَّ حَبَابَ المَاءِ يَكْتُمُ سِرَّهَا ... وَقَدْ جَعَلَتْ تَفْشُو بِهِ وَتَبُوْحُ

الناظر إلى هذه الأبيات يجد أنَّ الشّاعر الأندلسيّ قد أحبّ الطبيعة، ووصف كلّ شيء وقعت عليه عيناه، وهذا ما حدث مع ابن الفرس الذي جال بنظره فأبصر نارنجة في وسط النهر، فانبرى لوصفها، وجرّد كلّ حواسّه لرسم صورتها، فشبه لونها بجمر النار الملتهب فوق الرّماد، وفي هذا إشارة إلى ماء النهر الكَدِر الذي يشبه الرّماد لوناً، وعبّر عن جمال النهر فوصفه بالروض المزدان بشقائق النّعمان الحمراء، ثمَّ شبّه النارنجة بالدرع الذي يلبسه المحارب، ويمسك به على جسده حماية له من طعنات السيوف وضربات السّهام، ثم يتلفت إلى حركتها واضطرابها على صفحة الماء، فلا

تستقرّ على حال، فشبهها بالعقيقة (الأحجار الكريمة) التي تلوح تارة وتختفي أخرى في الماء، وفي نهاية اللوحة يشبّه الشّاعر زبد الماء الذي يغطيها، فكأنه يكتم ما تبوح له من أسرار، غير أنَّها لا تلبث أن تفشي سرّها وتبوح به.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في وصف ثمار الفاكهة في الشّعر الأندلسي، نضع بين يدي القارئ جملة من النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، وهي:

1- نظراً لكثرة الفاكهة في الأندلس، فإنَّ الشّعراء ركّزوا في وصفهم على أنواعٍ بعينها بعد أن جذبت انتباههم إمّا لحسن صورتها، أو عبق رائحتها، أو حلاوة طعمها، أو جمال لونها.

2- يختلف الأندلسيون عن أضرابهم المشارقة في أنَّهم كانوا يتهادون أطيب الثمار، وغالباً ما كانوا يكتبون شعراً مع هداياهم، فيصفونها بأجمل الصِّفات وأبلغ العبارات.

3- تنوّعت الصُّور لدى الشعراء الأندلسيين في وصف الثَّمرة الواحدة، لا بل تختلف أحياناً صورة الوصف لدى الشّاعر الواحد، فيأتي بصورتين مختلفتين، وهذا يدلّ على أنَّهم لم يكونوا مقلّدين لمن سبقهم من الشّعراء، وإن نظروا في بعض الأحيان إلى معاني سابقيهم وتشبيهاتهم، فكانوا يأخذونها ويزيدون عليها.

4- راوح الشّعراء في صورهم للثمار، فبعضها كان تقليدياً لم يتعمّقوا فيها، وبعضها كان بديعاً مبتكراً، وأكثروا من الصّور الحسيّة والحيّة، وأسبغوا عليها صفات إنسانية، فجعلوها تنبض بالحركة والحياة، ورسموا لها لوحات فريدة بمختلف الأصباغ والألوان.

5- وظّف الشعراء في أشعارهم المُحسّنات البديعيّة والتَّضمين والاقتباس والتّناصّ.

6- إنَّ الشعراء الأندلسيين أكثروا في شعرهم من التشبيهات والمقارنات التي تُجمّل الوصف، وتدفع المتلقي إلى الوقوف طويلاً للتأمّل في جمال التشبيه ودقته. وهكذا فإنَّ التشبيه بأنواعه من: مجمل، ومرسل مفصل، وبليغ، وتمثيلي قد رسم صورة من أروع الصور وأجملها للفواكه التي ذكرها الشّعراء. وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلّ على بلاغة الشعراء في الأندلس في فنّ الوصف الشّعري، حتى فاق شعرهم شعر غيرهم.

7- على الرّغم من كثرة الفواكه والثمار في الأندلس، فإن بعض الأخبار الواردة في كتب التاريخ والأدب لم تَخْلُ من مبالغات تفوق الوصف والخيال، وبخاصة ما ذكر عن التّفّاح الجلياني الذي وصف بضخامة الحجم، فقيل إن محيط دائرته تقدّر بحوالي ثلاثة أشبار.

8- بعد القراءة المستفيضة في هذا المجال، وجد الباحث أنَّ شعراء الأندلس قد تفوّقوا وبزّوا الشعراء المشارقة، على الرغم من أنَّ أصل الإنتاج الأدبي الأندلسي يرجع إلى المشرق.

الهوامش:

(1) المقري، نفح الطيب 125/1.

(2) المصدر السابق 151/3. **ابن بصال:** يحيى بن محمد، الشهير بابن العوام الإشبيلي، لقبّ بهذا اللقب لأنه كان يعمل في زراعة البصل. **ترجمته:** الأعلام 165/8، معجم المؤلفين 222/13.

(3) المصدر السابق 467/1. **عبد الرحمن الداخل:** عبد الرحمن بن معاوية، الملقب بصقر قريش، ويُعرف بالداخل، عاش ما بين (113–172هـ). ولد في دمشق، وانتقل هارباً إلى الأندلس لمَّا فتك العباسيون ببني أميّة. **ترجمته:** جذوة المقتبس 8/1، الأعلام 338/3.

(4) المصدر السابق 200/1. **ابن سعيد الأندلسي:** علي بن موسى، أديب ومؤرخ وشاعر مشهور. ولد عام 610هـ في يَحْصُب قرب غرناطة، وتوفي في تونس سنة 685هـ. **ترجمته:** الإحاطة، 129/4، ونفح الطيب، 29/3.

(5) ينظر: المصدر السابق 200/1+ 208/1+ 213/3. **الشقندي:** إسماعيل بن محمد، أديب أندلسي، له شعر رائق. ولد في قرية شقُنْدَة المُطلة على نهر قرطبة. درس الفقه والعلوم القديمة، وعمل قاضياً على قضاء بَيّاسَة ولُوْرقَة. توفي سنة (629هـ). **ترجمته:** نفح الطيب 222/3، والأعلام، 323/1.

(6) المصدر السابق 217/3. **أبذة:** من أعمال جيان، تقع إلى الشمال الشرقي من بياسة. ينظر: معجم البلدان 64/1.

(7) المصدر السابق 179/1.

(8) الحميري، الروض المعطار ص79. **ببشتر:** حصن منيع من أعمال رية. ينظر: الروض المعطار ص79.

(9) نفح الطيب 149/1. **جليانة:** حصن من أعمال وادي آش، يقال له: جليانة التفاح لجلالته وطيبه وريحه. ينظر: معجم البلدان 157/2.

(10) المصدر السابق 197/1. **سرقسطة:** من أشهر المدن الإسبانية، أطلق عليها لقب المدينة البيضاء لكثرة جصها. ينظر: معجم البلدان 212/3.

(11) المصدر السابق 197/1.

(12) الروض المعطار ص342. **شلب:** مدينة تقع غربي إشبيلية، وهي في البرتغال اليوم. ينظر: معجم البلدان 357/3.

(13) الإدريسي، نزهة المشتاق 543/2.

(14) الحموي، معجم البلدان 360/3؛ والروض المعطار ص343. **شلوبينية:** حصن من أعمال غرناطة. ينظر: الروض المعطار ص343.

(15) الروض المعطار ص441. **فنيانة:** قرية بالقرب من وادي آش. ينظر: الروض المعطار ص441.

(16) ينظر: نفح الطيب، 151/1-152، 218/3، الروض المعطار ص517.

(17) المصدر السابق 151/1. **أبو الحجاج المالقي:** يوسف بن محمد البلوي، المعروف بابن الشيخ، عالم باللغة والأدب، عاش ما بين (529-604هـ). من أشهر مؤلفاته: "ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة". **ترجمته:** تاريخ الإسلام 167/43، والأعلام 247/8.

(18) المصدر السابق 161/1.

(19) المصدر السابق 163/1.

(20) المصدر السابق 164/1. **شنش:** حصن يقع بالقرب من المرية، وفيه شجر التوت كثير. ينظر: المغرب 225/2.

(21) المصدر السابق 184/1. **شريش:** تقع جنوب شرق بطليوس. ينظر: معجم البلدان 340/3.

(22) الروض المعطار ص521. **الحميري:** أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، عالم في البلدان والسير والأخبار. **ترجمته:** الأعلام 53/7، ومعجم المؤلفين 238/11.

(23) ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة 120/1-124.

(24) نفح الطيب 220/3.

(25) ينظر: المصدر السابق 219/3، ونزهة المشتاق 182/1. **ريّة:** كورة بالأندلس تتصل بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة. ينظر: معجم البلدان 116/3.

(26) الروض المعطار ص604. **وادي آش:** يقع بالقرب من غرناطة في الجهة الشمالية الشرقية. ينظر: معجم البلدان 198/1.

(27) نفح الطيب 217/3.

(28) المصدر السابق 152/1.

(29) الروض المعطار ص317.

(30) ينظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب 415/1.

(31) نفح الطيب 164/1. **المعتمد بن عباد:** محمد بن المعتضد، عاش ما بين (431-488هـ)، ولد في مدينة باجة، يعتبر من أشهر ملوك الطوائف، وينحدر من أسرة كلها شعراء. **ترجمته:** الإحاطة 108/2، وقلائد العقيان 51/1-54، والحلة السيراء 52/2.

(32) المصدر السابق 219/3. ومن المعروف أن رسالة الشقندي قد وردت في نفح الطيب (186/3-222). **عمل سهيل:** يقع في غربي مالقة. ينظر: نفح الطيب 164/1.

(33) المصدر السابق 219/3. **بلش:** بلد بالأندلس من أعمال مالقة. ينظر: نفح الطيب 166/1.

[34] سعد شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر –عصر ملوك الطوائف ص87–89.

[35] المرجع السابق ص101–105.

[36] الحميري، البديع يع في وصف الربيع، حققه: علي كردي، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1997م. **الحميري:** إسماعيل بن محمد، وزير وكاتب وشاعر من إشبيلية، قتله المعتضد بن عباد سنة 440هـ. ترجمته: جذوة المقتبس 162/1، معجم المؤلفين 291/2.

[37] الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ص297.

[38] الأترج: ضرب من الشجر العالي، ناعم الأغصان والورق والثمر، يشبه ثمره الليمون الكبير، وهو ذهبي اللون. يُعرف بالتفاح اليماني، منه حلو، ومنه حامض، الحلو عيدانه مصفرة، وشوكه قليل، والحامض أسود، وشوكه كثير، وهو أنواع، قرطبي وكبير أملس يسمى قسطير، ومدحرج قدر الباذنجان، يقال له: الصغير. الحنبلي، المواكب الإسلامية، ص212.

[39] لم تذكر هذه المقطوعة في كتب الأدب الأندلسي عدا الكشف والتنبيه ونهاية الأرب. **ينظر:** الصفدي، الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ص351؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب 119/11.

[40] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني (المجلد الأول)، ص217، نهاية الأرب 121/11. **ابن القوطية:** محمد بن عمر الإشبيلي، أعلم أهل زمانه باللغة العربية، وكان فقيها حافظاً للأخبار. من كتبه "تصاريف الأفعال". **ترجمته:** وفيات الأعيان 368/4، والأعلام 311/6.

[41] ابن خميس، أعلام مالقة ص229، ونهاية الأرب 120/11 ونسب الأبيات لكشاجم، وهي له في الديوان 324–325، وأوردها صاحب نهاية الأرب ثانية 76/11–77 مُلفَّقة بدون نسبة، ابن ظافر، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ص101 ونسبها لكشاجم. **ابن الريُّة:** أبو محمد عبد الله ابن الرية المالقي، شاعر مجيد، وله شعر كثير. **ترجمته:** أعلام مالقة 227.

[42] سورة الإنسان: 14.

[43] ينظر: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر 120.

[44] الحميدي، جذوة المقتبس 648/2، الضبي، بغية الملتمس 725/2. **اليربوعي القرشي:** كان في أيام بني عامر. **ينظر:** جذوة المقتبس 648/2.

[45] ابن الأبار، الحلة السيراء 163/2. **ابن عمّار:** محمد بن عمار الشلبي (422–477هـ)، ولد في قرية شَنَّبوس بالقرب من شِلْب، كان صديقاً للمعتمد بن عباد، ووزر له على شلب. قتله الأخير على إثر خيانته له. **ترجمته:** بغية الملتمس 146/1، والمغرب 389/1، والحلة السيراء 132/2.

(46) الكشف والتنبيه 369، نهاية الأرب 135/11–136. **ابن بطال:** سليمان بن محمد البلطيوسي، المعروف بالمتلمس، أديب وفقيه وشاعر مجيد. من كتبه "الأحكام فيما لا يستغني عنه الحكام". **ترجمته:** جذوة المقتبس 222/1، نفح الطيب 292/3.

(47) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ص243–244. **ابن زيدون:** أحمد بن عبد الله القرطبي، عاش ما بين (394–463هـ) أديب وكاتب وشاعر ووزير. **ترجمته:** الأعلام 158/1.

(48) أبو نواس، الديوان 123/3.

(49) جذوة المقتبس، 168/1، ابن ظافر، بدائع البدائه ص305، نفح الطيب، 12/4. **إسحق بن إسماعيل المنادي:** شاعر وأديب مشهور، لم يذكر الحميدي تاريخ وفاته. **ينظر:** جذوة المقتبس 168/1.

(50) ابن الأبار، تحفة القادم ص116، الصفدي، الوافي بالوفيات 230/19. **ابن الفرس:** عبد المنعم ابن محمد الخزرجي. من أهل غرناطة، كان شاعراً وفقيها وقاضياً. لم تذكر المصادر التي ترجمت له عن سبب تلقيبه بهذا اللّقب. **ترجمته:** تحفة القادم 114، ورايات المبرزين 54، والإحاطة 541/3.

(51) العسكري، ديوان المعاني 388/2 ونسبه لابن المعتز.

(52) المغرب، 280/2، الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، (قسم شعراء المغرب والأندلس) 146/2. **جعفر بن إبراهيم بن أحمد اللورقي،** ينحدر من بيت معروف بالعلم والأدب، عمل وزيراً، وكان بارعاً في صناعتي الشعر والنثر. **ترجمته:** قلائد العقيان 400/1، والمغرب 277/2.

(53) ذيل زاد المسافر 195. **أبو القاسم الشلبي:** أديب بارع، له حظ وافر من الشعر، نعته صاحب ذيل زاد المسافر بالأديب الأكمل. ذكر محقق الكتاب أنه لم يعثر له على ترجمة. **ينظر:** ذيل زاد المسافر 193.

(54) نفح الطيب 200/1.

(55) المصدر السابق 54/3.

(56) نهاية الأرب 86/11–87.

(57) ابن الأبار، الديوان 477.

(58) الحلة السيراء 256/1، الكشف والتنبيه 353. أورد الأبيات (1–3) وذكر أنها لبعض الأندلسيين، نهاية الأرب 107/11 وذكر أنها لبعض الأندلسيين. **إسماعيل بن بدر:** أديب

غلبت عليه صناعة الشعر، وكان فقيها إذ سمع عن بقي بن مخلد والخشني. عاش إلى أول دولة الحكم المستنصر نحو (351هـ). **ترجمته:** الحلة السيراء 254/1، والأعلام 310/1.

(59) الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ص85. **علي بن أبي الحسين:** أغلب الظن أنه علي بن محمد الأصبحي. درس بقرطبة على صاعد البغدادي، وابن أبي الحباب. كان أديباً بليغاً، له مشاركة في النحو. مات نحو (430هـ). ترجمته: جذوة المقتبس 308/1، وبغية الملتمس 541/2.

(60) الكشف والتنبيه 353. وهي له في نهاية الأرب 107/11، وقد أخل بهما ديوانه. **ابن شرف:** هو محمد بن سعيد، أديب وكاتب وشاعر، عاش ما بين (390–460هـ). من أهل القيروان، ارتحل إلى الأندلس شابّاً، وأقام بإشبيلية، ومكث فيها إلى أن مات. كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء. **ترجمته:** معجم الأدباء 37/19، والذخيرة 133/1، والأعلام 138/3.

(61) ابن الخطيب، الديوان 176/1. **ابن الخطيب:** محمد بن عبد الله السلماني، من أهل لوشة، وزير ومؤرخ وأديب وشاعر مشهور، عاش ما بين (713–776هـ)، ترك عدداً ضخماً من المؤلفات وديوان شعر. **ترجمته:** شذارت الذهب، 344/6، ومعجم المؤلفين 216/10.

(62) المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض 134/3–135. **ابن السيد:** محمد بن السيد البطليوسي، عاش ما بين (444–521هـ)، كان عالماً باللغات والآداب، متبحراً فيهما. من كتبه: (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) و (الحلل على أبيات الجمل للزجاجي). **ترجمته:** بغية الملتمس 58/2، والبلغة 102–103، وأزهار الرياض 103/3.

(63) أبو نواس، الديوان، 184/3.

(64) تحفة القادم، ص91. **ابن صاحب الصلاة:** عبد الله بن يحيى الحضرمي، من أهل دانية، كان مبرزاً في العربية، وكان شاعراً بارعاً. **ترجمته:** تحفة القادم 90، والتكملة 274/2.

(65) ابن خفاجة، الديوان ص374. **ابن خفاجة:** إبراهيم بن أبي الفتح، عاش ما بين (450–533هـ)، كان شاعراً مطبوعاً على نمط شعراء المشرق، وله نثر جيد. **ترجمته:** بغية الملتمس 263/1، والخريدة 147/2، والمغرب 376/2، والصلة 95/1.

(66) المصدر السابق، ص374.

(67) ذيل زاد المسافر، ص196.

(68) نفح الطيب 312/2، الكشف والتنبيه 375، ونسبهما لابن شرف القيرواني. البيت1: لمَّا أتى، بالليل، نهاية الأرب 106/11 ونسبهما لابن شرف القيرواني، وقد أخلَّ بهما ديوانه.

(69) حب الملوك هو القراسيا: نوع من أنواع الفاكهة تشبه حبّات العنب، والمعروفة في الشرق تحت اسم "الكرز"، وقد ورد ذكره ووصفه بنوعيه الأحمر والأسود في شعر لابن سكن. وللمغرب

احتفال سنوي اليوم بظهور حب الملوك. يقيمونه في مدينة صفرو القريبة من فاس. ينظر ما ذكره محمد بن شريفة محقق كتاب أمثال العوام في الأندلس، هامش صفحة 390/2-391.

(70) ابن الخطيب، الديوان، 247/1.

(71) الشناوي، شعر أبي عمر بن حربون الشّلبيّ ص86. **ابن حربون:** أبو عمر عبد الله بن حربون الشلبيّ، شاعر الخلافة الموحديّة. **ترجمته:** زاد المسافر 86.

(72) ورد في نفح الطيب أنه يقال له بالمغرب حبّ الملوك. وبهذا المعنى فسَّره كثير من الأندلسيين، وهو ما يُعرف الآن بالكرز. ينظر: نفح الطيب، 604/3.

(73) تحفة القادم، ص63، البلفيقي، المقتضب من تحفة القادم ص100 ونسب البيتين لابن سكن. نفح الطيب، 605/3، التجيبي، لمح السّحر من روح الشّعر وروح الشِّحر ص255. **ابن سكن:** هو أبو بكر بن سكن، من أهل شلب. ذكره ابن الأبار وقال: "لم أقف على اسمه". **ينظر:** تحفة القادم 61.

(74) أعلام مالقة، ص311. **ابن معمر:** علي بن معمر المالقي، من جلة العلماء البارزين، له حظ من الأدب البارع والشعر الرائق. توفي سنة (539هـ). **ترجمته:** أعلام مالقة 309-312.

(75) منصور، حمدي، ما وصل إلينا من شعر يحيى بن هذيل الأندلسي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج77، ج3، ص472. **ابن هذيل:** يحيى بن هذيل الأندلسي، ولد في قرطبة، عاش ما بين (305-389هـ)، كان أديباً شاعراً، وقد بلغ في الأدب والشعر مبلغاً مشهوراً. **ترجمته:** جذوة المقتبس 381/2، ومعجم الأدباء 2833/5، والأعلام 175/8.

(76) نهاية الأرب، 93/11. **أبو بكر بن القرطبية:** لم أعثر له على ترجمة فيما توفر لدي من مصادر، وأغلب الظن أنه أبو بكر بن القوطية الذي ترجمت له في ثنايا البحث.

(77) الذخيرة، القسم الثاني (المجلد الأول)، ص217، نهاية الأرب 93/11.

(78) ينظر: الخشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ص32، نفح الطيب، 467/1-4682.

(79) التشبيهات، ص85. أورد الأبيات 1-3، نفح الطيب، 468/1. **ابن فرج:** هو أحمد بن فرج الجياني، أديب وشاعر مشهور، ألف للحكم المستنصر كتاب "الحدائق". توفي في حدود سنة (360هـ). **ترجمته:** جذوة المقتبس 104/1، والمغرب 56/2.

(80) لمح السحر 255-256، المقتضب من تحفة القادم 106. نفح الطيب 604/3. **ابن سعد الخير:** أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمد البلنسي. عاش ما بين (510-571هـ) كان بارعا مقدّماً في العربية، من كتبه: "كتاب الحلل في شرح الجمل" و "جذوة البيان وفريدة العقيان". **ترجمته:** تحفة القادم 69، والمغرب 317/2، ورايات المبرزين 116.

(81) ابن الخطيب، الديوان، 752/2.

[82] الحلة السيراء 261/1–262، الكشف والتنبيه، البيتان (1،2)، ص367، نفح الطيب 594/1. **المصحفي:** أبو الحسن جعفر بن عثمان، وزير وحاجب، من أهل العلم والأدب، له ديوان شعر، عمل وزيراً قبل المنصور محمد بن أبي عامر. مات مقتولاً سنة (372هـ). **ترجمته:** الحلة السيراء 257/2، وجذوة المقتبس 187/1.

[83] نهاية الأرب 113/11، لمح السحر 255 ونسبها لأبي حبيب ابن المرابط.

[84] الذخيرة، المجلد الثاني (القسم الأول)، ص217.

[85] ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان 819/4، ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين ص108 أورد البيتين (1+2) في البيت1: يستراب. **ابن سارة:** عبد الله بن محمد، سكن بإشبيلية وكان يتعيش بالوراقة، ثم اتصل بالولاة والرؤساء فدحهم وأجزلوا له العطاء. توفي سنة (517هـ). **ترجمته:** بغية الملتمس 60/2، والخريدة 315/2، والمغرب 419/1.

[86] الذخيرة، القسم الثاني (المجلد الأول) ص218، نهاية الأرب 95/11. العنّاب: شجر شائك من الفصيلة السدريّة، ثمره أحمر لذيذ الطعم.

[87] نهاية الأرب 95/11–96. الشغواء: صفة لأنثى العقبان؛ النيق: أعلى قمة الجبل؛ الرحيق: الخمرة؛ الخلوق: ضرب من الطيب.

[88] المصدر السابق 96/11.

[89] امرؤ القيس، الديوان 38 (ط–دار المعارف 1999).

[90] نهاية الأرب 96/11.

[91] البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام ص163، وغرائب التنبيهات، ص122 دون نسبة. **ابن سهل الإسرائيلي:** أبو إسحق إبراهيم بن سهل، من أهل إشبيلية، كاتب وشاعر غزل، عاش ما بين (605–649هـ). كان يهودياً وأسلم، وتلقى الأدب. من آثاره ديوان شعر. **ترجمته:** تحفة القادم 234، والأعلام 42/1، ومعجم المؤلفين 37/1.

[92] ابن زيدون، الديوان، ص220–221.

[93] ذيل زاد المسافر، ص217. **أبو بكر المرواني:** هو أخو الشريف الأديب أبو محمد عبد الجبار المرواني. ذكر محقق الكتاب أنه لم يقف له على ترجمة. **ينظر:** ذيل زاد المسافر 217.

[94] سورة الإسراء: 12

[95] الذخيرة، القسم الأول (المجلد الأول) ص757، نفح الطيب 264/3، بدائع البدائه 366. **المنفتل:** أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة، من أعلام شعراء إلبيرة في عصر ملوك الطوائف. **ترجمته:** المغرب 99/2، ورايات المبرزين 58، والذخيرة 568/1.

(96) التشبيهات 84. **ابن عبد ربه:** أبو عمر أحمد بن محمد، من أهل العلم والأدب، له الكتاب المسمى "العقد الفريد". توفي سنة (328هـ). **ترجمته:** جذوة المقتبس 101/1.

(97) المصدر السابق 84. ما وصل إلينا من شعر يحيى بن هذيل 35–36.

(98) ابن شرف القيرواني، الديوان ص73.

(99) المصدر السابق 51.

(100) نفح الطيب 384/2. **ابن جبير**: أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني، الأديب الرحالة المشهور، عاش ما بين (540–614هـ). ولد في بلنسية، وانتقل إلى شاطبة، ثم رحل إلى الشرق. له ديوان شعر أغلبه في رثاء زوجته أم المجد. **ترجمته:** الأعلام 319/5.

(101) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه 297.

(102) المغرب 420/1. ورد البيتان (1+4). الخريدة، (قسم شعراء المغرب) 320/2 وهي لابن سارة، قلائد العقيان 829/4، رايات المبرزين 107.

(103) صفوان بن إدريس، زاد المسافر ص83، الكشف والتنبيه343 دون عزو. ورد البيتان (1+3)، وقد ورد البيت الثاني ملفَّقاً، نهاية الأرب 75/11 دون عزو، نفح الطيب 593/3 وهي له. في النفح 1: (لثمنها، فصار منه)، عباس هاني الجراخ، ديوان مجير الدين بن تميم (قراءة ومستدرك)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (78)، الجزء (2)، ص461، والمواكب الإسلامية 212 دون نسبة، وورد البيتان (2+3). البيت2: "انظر إلى لقضب النارنج حاملة"، "زمرداً وعقيقاً". **الشريف الأصم:** من شعراء القرن السادس الهجري، ذكره صفوان بن إدريس ولم يترجم له. ينظر: زاد المسافر 82. **مجير الدين بن تميم:** أبو عبد الله محمد بن يعقوب الإسعردي. أمير أديب شاعر بديع النظم. **ترجمته:** الوافي بالوفيات 228/5، وتذكرة النبيه 100/1، والنجوم الزاهرة 367/7.

(104) النواجي، حلبة الكميت 264 دون عزو، هاني الجراخ، ديوان مجير الدين بن تميم (قراءة ومستدرك) ص461.

(105) تحفة القادم 116، الوافي بالوفيات 230/19.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن الأبار، محمد بن عبد الله (1985)، الحلة السيراء، ط2، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة.

ابن الأبار، محمد بن عبد الله (1986)، تحفة القادم، ط1، أعاد بناءه وعلق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن الأبار، محمد بن عبد الله (1999)، الديوان، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

ابن إدريس، صفوان بن إدريس (2012)، زاد المسافر وغرَّة محيَّا الأدب السافر، ومعه ذيل زاد المسافر، ط1، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

الإدريسي، محمد بن محمد (2002)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الأصفهاني، عماد الدين (1986)، خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الثاني (قسم شعراء المغرب والأندلس)، ط2، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المطوي، الجيلاني يحيى، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر.

امرؤ القيس بن حجر (1999)، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط4، دار المعارف، القاهرة.

البدري، عبد الله بن محمد (1980)، نزهة الأنام في محاسن الشام، ط1، دار الرائد العربي، بيروت.

ابن بسام الشنتريني، علي بن بسام (1997)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

البلفيقي، إبراهيم بن محمد (1982)، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ط2، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت.

الجراخ، عباس هاني (2003)، ديوان مجير الدين بن تميم (قراءة ومستدرك)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 78، ج 2، (الصفحات 423–471).

الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

الحميدي، محمد بن فتوح (1989)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ط3، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت.

الحميري، إسماعيل بن محمد (1997)، البديع في وصف الربيع، حققه: علي إبراهيم كردي، ط1، دار سعد الدين، دمشق.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (1980)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، دار السراج، بيروت.

الحنبلي، محمد بن عيسى (2001)، المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، تقديم وتحقيق: أيمن البحيري، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة.

ابن خاقان، الفتح بن محمد (1989)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط1، حققه وعلّق عليه: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، إربد.

الخشني، محمد بن حارث (1953)، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، ط1، عني بنشره وصححه وراجع أصوله: السّيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (1973)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط2، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة. المجلد الأول.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (1989)، الديوان، ط1، صنعه وحققه وقدم له: محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء.

ابن خفاجة، إبراهيم بن خفاجة (1979)، الديوان، ط2، تحقيق: سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية.

ابن خميس، أبو بكر بن خميس (1999)، أعلام مالقة المسمى الإكمال والإتمام، في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام، من أهل مالقة الكرام، ط1، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان، بيروت، الرباط.

ابن زيدون، أحمد بن عبد الله (د.ت)، ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتعليق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (1987)، رايات المبرزين وغايات المميزين، ط1، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.

ابن سعيد، علي بن موسى (1955)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

ابن شرف القيرواني، محمد بن شرف (1997)، الديوان، تحقيق: حسن ذكري حسن، دار مصر للطباعة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

الشكعة، مصطفى (2008)، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط12، دار العلم للملايين، بيروت.

شلبي، سعد إسماعيل (1978)، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر–عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

الشناوي، علي الغريب (2004)، شعر أبي عمرو بن حربون الشّلبيّ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1999)، الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، ط1، حققه وعلق عليه: هلال ناجي ووليد بن أحمد الحسين، منشورات الحكمة–بريطانيا–ليدز.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (1993)، الوافي بالوفيات، باعتناء: رضوان السيد، فرانز شتاينر، شتوتغارت. المجلد 19.

الضبي، أحمد بن يحيى (1989)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط1، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت.

ابن ظافر، علي بن ظافر الأزدي (1992)، بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

ابن ظافر، علي بن ظافر الأزدي (1983)، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق: محمد زغلول سلام ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة.

العسكري، الحسن بن عبد الله (1994)، ديوان المعاني، ط1، شرحه وضبط نصّه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت.

القرطبي، عبد الله بن أحمد(2010)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة: محمد ابن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، المغرب.

الكتّاني، محمد بن الكتاني (1966)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

كشاجم، محمود بن الحسين (1997)، الديوان، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن لُيُّون التجيبي، سعيد بن ليون (2005)، لمح السِّحْر من روح الشِّعْر وروح الشِّحر (مختصر كتاب روح الشعر لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الجلاب)، تحقيق وتعليق: سعيد بن الأحرش، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

المقري، أحمد بن محمد (1948)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبطه وحقَّقه وعلَّق عليه: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة. الجزء الثالث.

المقري، أحمد بن محمد (1968)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

منصور، حمدي (2002)، "ما وصل إلينا من شعر "يحيى بن هذيل الأندلسي"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق "مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً"، مج 77، ج3

النواجي، محمد بن حسن (1998)، حلبة الكميت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

أبو نواس، الحسن بن هانئ (1988)، الديوان، تحقيق: إيفالد فاغنر، فرانز شتاينر فيسبادن، شتوتغارت. الجزء الثالث.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب (2004)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، تحقيق: محمد رضا مروة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، مج5، الأجزاء (9،10،11).